قضايا نزول القرآن عند الإمام الصالحي

من خلال كتابه (سبل الهدى والرشاد)

"دراسة وصفية تحليلية"

إعداد

د/ أيمن صبحي سيد أحمد صديق

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بالإسكندرية

بحث مستل من العدد الأول المجلد الثالث ٢٠١٦ م

من مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليما كثيرا.

وبعد، فعلوم القرآن الكريم من أجل العلوم وأشرفها؛ لتعلقها بأجل الكتب وأشرفها، ألا وهو كتاب الله المنزل من لدن حكيم خبير.

وقد اعتنى العلماء بعلوم القرآن منذ فجر الإسلام، إلى أن بدأ التصنيف فتوالت فيه المصنفات. وكان من هذه المصنفات ما يهتم بحصر جميع الأبواب والمباحث المتعلقة بعلوم القرآن، ومنها ما اقتصر على بعض هذه العلوم أو استقل بعلم واحد منها.

ومن الأمور المثيرة للانتباه في هذا الصدد أن العديد من المؤلفات في شتى العلوم تضمنت العناية بقضايا علوم القرآن.

ومن هذه المؤلفات كتاب (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد) للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفى سنة ٩٤٢هـ. [1]

(١) مُحَمَّد بن يُوسُف بن على بن يُوسُف الدِّمَشْقِي، شمس الدِّين الشَّامِي، الصَّالِحِي، الْحَنَفِيّ، مدرس البرقوقية بِمصْر، محدث، حافظ، مؤرخ. ولد في صالحية دمشق، وسكن البرقوقية بصحراء القاهرة إِلى أن توفي في ١٤ شعبان سنة ٩٤٢ هـ (اثْنَتَيْنِ وأربعين وَتِسْعمِائَة). من تصانيفه: الْآيَات الْعَظِيمَة الباهرة فِي مِعْرَاج سيد أهل الدُّنْيَا وَالْآخِرَة. الاتحاف بتمييز مَا تبع فِيهِ البيضاوى صَاحب الْكَشَّاف. سبل الْهدى والرشاد فِي سيرة خير الْعباد. عُقُود الجمان فِي مَنَاقِب أبى حنيفَة النُّعْمَان. (هدية العارفين (٢/ ٢٣٦)، سلم الوصول إلى طبقات الفحول (٣/ ٢٩٢)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢/ ٩٧٨، معجم المؤلفين (١٢/ ١٣١، ١٣٢).

ومن المعلوم أن هذا الكتاب من كتب السيرة النبوية، بل إنه يعد أضخم موسوعة علمية كتبت في السيرة النبوية؛ حيث بذل فيه مؤلفه جهدا كبيرا، حتى ذكر صاحب كشف الظنون أنه أحسن كتب المتأخرين، وأبسطها في السيرة النبوية، وذكر أنه منتخب من أكثر من ثلاثمائة كتاب، وآت من الفوائد بالعجب العجاب، وقد زادت أبوابه على سبعمائة باب. (١)

والمتصفح لهذا الكتاب يجد فيه مادة غزيرة مما يتعلق بالدراسات القرآنية في جميع أبوابها.

ومن هنا قمت بجمع هذه المادة وترتيبها وتصنيفها، ونظرا لكثرة النصوص الواردة في ذلك رأيت الاقتصار على ما يتعلق بقضايا نزول القرآن الكريم عند الإمام الصالحي.

وسلكت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي؛ حيث قدمت وصفا مفصلا لقضايا نزول القرآن عند الإمام الصالحي، واستشهدت ببعض النصوص المختارة من كتابه، وقمت بدراسة هذه النصوص دراسة تحليلية.

وفي ضوء هذا المنهج قسمت البحث إلى: مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل على: أهمية البحث، ومنهجه، وخطته.

المبحث الأول: كيفية إنزال القرآن الكريم.

المبحث الثاني: أول ما نزل من القرآن الكريم، وآخر ما نزل منه.

المبحث الثالث: نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف.

المبحث الرابع: المكي والمدني (مكان نزول القرآن الكريم وزمانه).

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢/ ٩٧٨) باختصار.

المبحث الخامس: أسباب نزول القرآن الكريم.

الخاتمة، وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات ، ثم فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وبعد، فتلك محاولة بذلت فيها جهدي، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي، والله وحده المستعان وعليه التكلان.

﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (١)

الباحث

د. أيمن صبحي صديق

(١) سورة هود، من الآية: ٨٨

المبحث الأول: كيفية إنزال القرآن الكريم.

عقد الإمام الصالحي عدة أبواب تحدث فيها عن كيفية إنزال القرآن الكريم، فتحدث عن كيفية إنزال الوحي، وذكر عدة تنبيهات تتعلق بكيفية إنزال القرآن الكريم، ثم تحدث عن شدة الوحي وثقله، وذكر أنواع الوحي وصفات حامله، ثم تحدث عن فترة الوحي وانقطاعه عن رسول الله ﷺ .

وفيما يلي بيان ذلك:

عقد الإمام الصالحي بابا تحدث فيه عن كيفية إنزال الوحي، قال فيه: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ﴾[١]، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[٢]. وقال ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما–: فُصِلَ القرآن من الذكر ودفع إلى جبريل فوضعه في بيت العزة من السماء الدنيا في ليلة القدر جملة واحدة، وكان الله ينزله على رسوله بعضه إثر بعض نجوما على مواقع النجوم رسلا[٣] لجواب كلام العباد وأعمالهم في عشرين سنة ثم قرأ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[٤]. ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[٥]. [٦]

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ١٨٥

(٢) سورة القدر، الآية: ١

(٣) "**رسلا**": أي رفقاء. "**على مواقع النجوم**": أي على مثل مساقطها. يريد: أنزل مفرقا يتلو بعضه بعضا على تؤدة ورفق. (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٢٥٢)

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٣٣

(٥) سورة الإسراء، الآية: ١٠٦

(٦) أخرجه بنحوه: النسائي في السنن الكبرى (٧/ ٢٤٧) حديث (٧٩٣٧) كتاب فضائل القرآن، باب كم بين نزول أول القرآن وبين آخره، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٢) حديث (١٢٣٨١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٤٢) حديث (٢٨٨١) كتاب التفسير ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأقرَّه الذهبي في التلخيص، وأخرجه غيرهم.

ثم حكى الإمام الصالحي ترجيح العلماء لهذا القول فقال: قال الزركشي في البرهان[١] والشيخ[٢] في الإتقان[٣]: إنه الأصح الأشهر، وقال الحافظ في الفتح[٤]: إنه الصحيح المعتمد. [٥]

حيث رجح هؤلاء الأئمة أن القرآن الكريم "نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجما".[٦]

قلت: هذا القول يعني أن للقرآن الكريم نزولين:

الأول: نزوله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزّة في السماء الدنيا جملة واحدة، وكان هذا النزول في رمضان ليلة القدر.

قال أبو شهبة: "وقد جاءت الآثار الصحيحة مبيّنة لهذا النزول وشاهدة عليه".[٧]

الثاني: نزوله من السماء الدنيا على النبي ﷺ . وقد نزل به «جبريل» عليه السلام على النبي ﷺ منجما مفرقا، على حسب الوقائع، والحوادث، وحاجات الناس، ومراعاة للظروف والملابسات.

وقد اختلف العلماء في مدة هذا النزول؛ فقيل: عشرون سنة، وقيل: ثلاث وعشرون سنة، وقيل: خمس وعشرون سنة.

ومنشأ هذا الاختلاف إنما هو اختلافهم في مدة مقامه ﷺ بمكة؛ فقيل عشر سنين، وقيل: ثلاث عشرة، وقيل: خمس عشرة. [٨]

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٢٨)
(٢) أي الإمام السيوطي.
(٣) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٤٦)
(٤) فتح الباري لابن حجر (٩/ ٤)
(٥) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٢٥٢)
(٦) يراجع: البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٢٨)، الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٤٦)، فتح الباري لابن حجر (٩/ ٤)
(٧) المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: ٥٠)
(٨) يراجع في تفصيل هذه المسألة: المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: ٥٠ – ٥٦)

وبعد أن ذكر الإمام الصالحي هذا القول وحكى ترجيح العلماء له ذكر سائر الأقوال الواردة في ذلك فقال:

وقيل: إنه نزل إلى سماء الدنيا في عشرين ليلة قدر أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين في كل ليلة ما يقدر الله تعالى إنزاله في كل سنة، ثم نزل بعد ذلك منجما في جميع السنة.

وقيل: إنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مختلفات.

وقيل: إنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة، وإن الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة، ونجمه جبريل على النبي ﷺ في عشرين سنة.(١)

قلت: القول بأن الحفظة نجمته على جبريل قول مردود؛ لأنه ليس بين الله تعالى وجبريل عليه السلام واسطة في تلقي القرآن الكريم.

ولذا استغرب ابن حجر هذا القول(٢)، بل احتد ابن العربي – رحمه الله تعالى – فقال: " ومن جهالة المفسرين أنهم قالوا: إن السفرة ألقته إلى جبريل في عشرين ليلة وألقاه جبريل إلى محمد – عليهما السلام – في عشرين سنة. وهذا باطل ليس بين جبريل وبين الله واسطة. ولا بين جبريل ومحمد – صلى الله عليهما – واسطة".(٣)

وقد استنكر صاحب مناهل العرفان هذه الأقوال الثلاثة فقال: لكن الأقوال الثلاثة الأخيرة بمعزل عن التحقيق، وهي محجوجة بالأدلة المؤيدة للقول الأول.(٤)

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٢٥٢) بتصرف واختصار.
(٢) فتح الباري لابن حجر (٩/ ٥)
(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٤٢٧)
(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٤٦) بتصرف.

ورجح أبو شهبة أيضا القول بأن القرآن الكريم نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجما حيث قال : "وبعد .. فالقول الأول، هو الراجح والصحيح الذي تشهد له الآيات والآثار".[١]

قلت: والقول بأن "القرآن الكريم ابتدئ إنزاله في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مختلفة" قول جدير بالقبول. وهو منسوب إلى الإمام الشعبي ﷺ، فقد أخرج الطبري بسنده إلى الشعبي ﷺ في قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾[٢] أنه قال: نزل أول القرآن في ليلة القدر.[٣]

إذ المراد بإنزال القرآن في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[٤]، **وقوله:** ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[٥]، **وقوله:** ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾[٦] إمّا إنزاله كله إلى سماء الدنيا، كما رُوي أنه أنزل جملة جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، ثم نزل نجوماً في ثلاثٍ وعشرين سنة، **وإمّا ابتداء نزوله، وهو الأظهر.**[٧]

وإلى ترجيح هذا القول ذهب جمع من المفسرين.[٨]

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: ٥٤)
(٢) سورة القدر، الآية: ١
(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤/ ٥٣١)
(٤) سورة البقرة، من الآية: ١٨٥
(٥) سورة الدخان، من الآية: ٣
(٦) سورة القدر، الآية: ١
(٧) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٧/ ٣٣١)
(٨) يراجع في ترجيح هذا القول: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٢٢٧)، باهر البرهان في معانى مشكلات القرآن (٣/ ١٣٠٣)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٥/ ٦١١)، محاسن التأويل (٩/ ٥١٦)، تفسير المراغي (٣٠/ ٢٠٧)، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٣١)، في ظلال القرآن (٦/ ٣٩٤٤)، التفسير القرآني للقرآن (١٦/ ١٦٣٣)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٥٦)، زهرة التفاسير (١/ ٥٥٥)، التفسير الوسيط لطنطاوي (١٥/ ٤٦٣)

وإلى هذا الرأي ذهب الأستاذ محمد عبده حيث قال: إن ما جاء من الآثار الدّالة على نزوله جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا، مما لا يصح الاعتماد عليه؛ لعدم تواتر خبره عن النبي ﷺ وأنه لا يجوز الأخذ بالظن في عقيدة مثل هذه، وإلا كان اتباعا للظن. (١)

ورجحه أيضا الأستاذ محمد عزت دروزة؛ حيث قال: "أما إنزال القرآن جميعه دفعة واحدة إلى سماء الدنيا فليس عليه دليل من القرآن أو من الحديث الصحيح. ولا يبدو له حكمة، كما لا يبدو أنه منسجم مع طبيعة الأشياء". (٢)

وحاول بعض العلماء الجمع بين كون القرآن الكريم نزل جملة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا وبين القول بابتداء نزوله ليلة القدر بأن نزول القرآن جملة وابتداء نزوله مفرقًا في ليلة القدر من شهر رمضان، وهي الليلة المباركة. (٣)

وخلاصة القول في المسألة: أن نزول القرآن جملة إلى السماء الدنيا هو من أمر الغيب الذي تتوقف معرفته على ورود نص في القرآن أو السنة يبينه، ولكن قول الصحابي في الأمور التي ليست موضع اجتهاد، إذا ثبت، حكمه حكم الحديث المرفوع، وهو ما ينطبق على تفسير ابن عباس – رضي الله عنهما – هنا. فمن المرجح أن يكون ابن عباس قد فهم هذا التفسير من النبي ﷺ .

على أن مما يجب الالتفات إليه في موضوع نزول القرآن هو أن هذا الاختلاف في تفسير هذه الآيات لا يؤثر في شيء على نص القرآن الكريم، فسواء ثبت ما نقل عن ابن عباس أو ما روي عن عامر الشعبي

(١) تفسير جزء «عمّ» للشيخ محمد عبده (ص: ١٢٨ – ١٣٢) باختصار.
(٢) التفسير الحديث (٢/ ١٣٢، ١٣٣)
(٣) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ١٠٣)

فنص القرآن واحد في كلا القولين، وهما يؤولان إلى نتيجة واحدة وهي أن النبي ﷺ تلقى القرآن مفرقا في ثلاث وعشرين سنة. (١)

ثم ذكر الإمام الصالحي عدة تنبيهات تتعلق بكيفية إنزال القرآن الكريم نقلها بنصها من الإتقان للإمام السيوطي(٢):

الأول: قيل: السر في إنزاله جملة إلى السماء تفخيم أمره وأمر من أنزل عليه، وذلك بإعلام سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم قد قربناه إليهم لتنزله عليهم، ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجما بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله باين بينه وبينها فجعل له الأمرين: إنزاله جملة، ثم إنزاله مفرقا؛ تشريفا للمنزل عليه. ذكر ذلك أبو شامة رحمه الله تعالى(٣).

وقال الحكيم الترمذي رحمه الله تعالى: إنزال القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا تسليما منه للأمة ما كان أبرز لهم من الحظ بمبعث النبي ﷺ ، وذلك أن بعثته كانت رحمة، فلما خرجت الرحمة بفتح الباب جاءت بمحمد وبالقرآن، فوضع القرآن ببيت العزة في السماء الدنيا ليدخل في حد الدنيا، ووضعت النبوة في قلب محمد ﷺ ، وجاء جبريل بالرسالة ثم الوحي، كأنه أراد تعالى أن يسلم هذه الرحمة التي كانت حظ هذه الأمة من الله تعالى إلى الأمة. (٤)

---

(١) محاضرات في علوم القرآن – غانم قدورى (ص: ٣١)

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٤٩) وما بعدها.

(٣) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز (١/ ٢٤)، ويراجع: البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٣٠)، الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٤٩)، معترك الأقران في إعجاز القرآن (٢/ ٢٥٧)

(٤) ينظر: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز (١/ ٢٦)، الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٥٠)، معترك الأقران في إعجاز القرآن (٢/ ٢٥٧)

وقال الإمام أبو الحسن السخاوي في «جمال القراء»[١] في نزول القرآن إلى السماء جملة تكريم بني آدم وتعظيم شأنهم عند الملائكة وتعريفهم عناية الله بهم ورحمته لهم، ولهذا المعني أمر سبعين ألفا من الملائكة أن تشيع سورة الأنعام! وزاد سبحانه في هذا المعنى بأن أمر جبريل بإملائه على السفرة الكرام وإنساخهم إياه وتلاوتهم له.

قال: وفيه أيضاً التسوية بين نبينا وبين موسى في إنزال كتابه جملة، والتفضيل لمحمد ﷺ في إنزاله عليه منجما ليحفظه. [٢]

الثاني: قال أبو شامة رحمه الله تعالى[٣]: الظاهر أنه نزل جملة إلى السماء الدنيا قبل ظهور نبوته ﷺ . قال: ويحتمل أن يكون بعدها.

قال الشيخ رحمه الله تعالى[٤]: والظاهر الثاني، وسياق الآثار السابقة عن ابن عباس صريح فيه.

وقال الحافظ[٥]: قد أخرج أحمد والبيهقي في الشعب عن واثلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال: «**أنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت منه، والزبور لثمان عشرة خلت منه، والقرآن لأربع وعشرين خلت منه**»[٦].

---

(١) ينظر: جمال القراء وكمال الإقراء (ص: ٦٧)

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٢٥٢، ٢٥٣)

(٣) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز (١/ ٢٥)

(٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٥٠)

(٥) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٩/ ٥)

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (٢٨/ ١٩١) حديث (١٦٩٨٤)، والطبراني في المعجم الأوسط (٤/ ١١١) حديث (٣٧٤٠) وقال: لم يرو هذا الحديث عن قتادة، إلا عمران القطان، ولا يروى عن رسول الله ﷺ إلا بهذا الإسناد، وفي المعجم الكبير (٢٢/ ٧٥) حديث (١٨٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٣١٧) حديث (١٨٦٤٩) كتاب الجزية، باب ذكر كتب أنزلها الله قبل نزول القرآن، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٩٧) وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، وفيه عمران ابن داود القطان، ضعفه يحيى، ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث. وبقية رجاله ثقات.

قال: وهذا الحديث مطابق لقوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾[1]، ولقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾[2]، فيحتمل أن تكون ليلة القدر في تلك السنة كانت تلك الليلة، فأنزل فيها جملة إلى السماء الدنيا، ثم أنزل في اليوم الرابع والعشرين إلى الأرض أول ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾[3].

قال الشيخ[4]: لكن يشكل على هذا ما اشتهر من أنه بعث في شهر ربيع الأول. ويجاب عن هذا بما ذكروه أنه ﷺ نبئ أولا بالرؤيا في شهر مولده، ثم كانت مدتها ستة أشهر، ثم أوحى إليه في اليقظة، ذكره البيهقي وغيره. [5]

قلت: هذا جواب جيد، وبه يندفع الإشكال، ويمكن أن يضاف إليه: أن المشهور عند الجمهور أنه ﷺ ولد في شهر ربيع الأول وبعث في شهر رمضان، فعلى هذا يكون له حين بعث أربعون سنة ونصف، أو تسع وثلاثون ونصف. فمن قال:" أربعين ألغى الكسر أو جبر، لكن قال المسعودي وابن عبد البر: إنه بعث في شهر ربيع الأول، فعلى هذا يكون له أربعون سنة سواء. [6]

الثالث: قال أبو شامة[7]: إن قيل: ما السر في نزوله منجما؟ وهلا نزل كسائر الكتب جملة؟

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ١٨٥
(٢) سورة القدر، الآية: ١
(٣) سورة العلق، من الآية: ١
(٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٥١)
(٥) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/٤٥٣، ٢٥٤)
(٦) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٥٧٠)
(٧) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز (١/ ٢٧ – ٢٩)

قلنا: هذا سؤال قد تولى الله جوابه فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ يعنون كما أنزل على من قبله من الرسل، فأجابهم تعالى بقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي أنزلناه كذلك مفرقا ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [١] أي لنقوي به قلبك، فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب وأشد عناية بالمرسل إليه، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه وتجديد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقائه جبريل...

وقال غيره: إنما لم ينزل جملة واحدة؛ لأن منه الناسخ والمنسوخ، ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرقا، ومنه ما هو جواب لسؤال، ومنه ما هو إنكار على قول قيل أو فعل فعل. وبه فسر قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ ﴾[٢].

فالحاصل: أن الآية تضمنت حكمتين لإنزاله مفرقا. [٣]

قلت: ذكر العلماء لنزول القرآن منجما حكما عديدة ، منها:

١- تثبيت فؤاد النبي ﷺ وتقوية قلبه.

٢- التدرج في تربية هذه الأمة الناشئة علما وعملا.

٣- مسايرة الحوادث والطوارئ في تجددها وتفرقها.

٤- الإرشاد إلى مصدر القرآن، وأنه كلام الله وحده، وأنه لا يمكن أن يكون كلام محمد ﷺ ولا كلام مخلوق سواه. [٤]

---

(١) سورة الفرقان، من الآية: ٣٢

(٢) سورة الفرقان، من الآية: ٣٣

(٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٢٥٤)

(٤) يراجع: مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٥٣ – ٦٠)

الرابع: قال الأصفهاني[1]**: اتفق أهل السنة والجماعة على أن كلام الله تعالى منزل، واختلفوا في معنى الإنزال،** فمنهم من قال: إظهار القراءة، ومنهم من قال: أن الله تعالى ألهم كلامه جبريل وهو في السماء وهو عال من المكان وعلمه قراءته، ثم جبريل أداه في الأرض وهو يهبط في المكان.

وفي التنزيل طريقان: أحدهما: أن النبي ﷺ انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملكية وأخذه من جبريل.

والثاني: أن الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذه الرسول منه.

والأول أصعب الحالين.

وقال الحافظ[2]: جرت العادة بالمناسبة بين القائل والسامع، وهي هنا إما باتصاف السامع بوصف القائل بغلبة الروحانية وهو النوع الأول، وإما باتصاف القائل بوصف السامع وهو البشرية وهو النوع الثاني، والأول أشد بلا شك. [3]

قلت: ذكر العلماء في كيفية تلقّى النبي ﷺ الوحي عن جبريل عليه السلام أنه يكون على حالتين:

أولاهما: أن ينسلخ النبي ﷺ من حالته الشريفة العادية، إلى حالة أخرى، بها يحصل له استعداد لتلقي الوحي من جبريل عليه السلام ، وهو على حالته الملكية، وفي هذه الحالة قد يُسمع عند مجيء الوحي صوت شديد

(١) يراجع: البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٢٩)، الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٥٦)، معترك الأقران في إعجاز القرآن (٢/ ٢٦٢)

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ٢٠)

(٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٢٥٤، ٢٥٥)

كصلصلة الجرس[١] .. وأحيانا يسمع الحاضرون صوتا عند مجيء الوحي كدويّ النحل .. وتأخذ النبي ﷺ حالة شديدة روحانية، يغيب فيها عما حوله، ويثقل جسمه، حتى لتكاد الناقة التي يركبها تبرك، وإذا جاءت فخذه على فخذ إنسان تكاد ترضّها ويتصبب عرقه، وربما يسمع له غطيط كغطيط النائم، فإذا ما سرّي عنه وجد نفسه واعيا لكل ما سمع من الوحي فيبلغه كما سمعه، وهذه الحالة أشد حالات الوحي على النبي ﷺ، ويشير إلى هذا قوله تعالى: ﴿**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا**﴾[٢] **وعلى هذه الحالة تلقى القرآن.**

٢ – أن يتحول جبريل عليه السلام من الملكية إلى الصورة البشرية، فيأتي في صورة رجل، فيأخذ عنه الرسول ﷺ ويسمع منه .. وكثيرا ما كان جبريل عليه السلام يأتي في هذه الحالة في صورة دحية الكلبي أو صورة أعرابي لا يعرف وهذه الحالة أهون الحالين على الرسول ﷺ .[٣]

ويدل على هاتين الحالتين: حديث عَائِشَة – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – أَنَّ الحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رضي الله عنه سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ**». قَالَتْ عَائِشَةُ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا–: وَلَقَدْ

(١) الصلصلة – بمهملتين مفتوحتين بينهما لام ساكنة – في الأصل: صوت وقوع الحديد بعضه على بعض، ثم أطلق على كل صوت له طنين. وقيل: هو صوت متدارك لا يدرك في أول وهلة. والجرس: الجلجل الذي يعلق في رؤوس الدواب. (فتح الباري لابن حجر (١/ ٢٠)

(٢) سورة المزمل، الآية: ٥

(٣) المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: ٦٢، ٦٣)

رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ فِي اليَوْمِ الشَّدِيدِ البَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا. (١)

ويعجبني في هذا السياق ما ذهب إليه أبو شهبة حيث قال: "والذي نقطع به- والله أعلم- أن القرآن الكريم كله نزل في الحالة الأولى، وهي الحالة التي يكون فيها جبريل على ملكيته...، وهذا هو الذي يليق بالقرآن الكريم، وينفي أي احتمال أو تلبيس في تلقيه، ولم أقف قط على رواية تفيد نزول شيء من القرآن عن طريق جبريل وهو في صورة رجل، وكل ما جاء من ذلك في الأحاديث الصحاح كحديث جبريل المشهور وسؤاله النبي ﷺ عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة وأشراطها، فإنما هو في وحي السنة لا في وحي القرآن.

نعم هناك قرائن لا تصل إلى حد الأدلة تدل على نزول القرآن بالطريق الأول، فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ (٢) أي ثقيلا تلقيه، وثقيلا علمه، وذلك إنما يكون في الحالة التي تسود فيها الملائكية عند تلقي الوحي. وأيضا فلو أنزل شيء من القرآن في الحالة الثانية وهي مجيء جبريل عليه السلام في صورة رجل لكان هذا مثارا للشك، والتلبيس على ضعفاء الإيمان، ولكان فيه مستند للمشركين في قولهم: إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ....

وقد أشار الله تبارك وتعالى إلى هذا في قوله حكاية لمقالة المشركين وردّا عليهم: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾ (٣) ،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٦) حديث (٢) كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ؟ (٤/ ١١٢) حديث (٣٢١٥) كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، وأخرجه غيره.

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ٨ ، ٩

(٣) سورة الأنعام، الآيتان: ٨ ، ٩

فكان من الرحمة بالعباد، وعدم التلبيس عليهم أن لا ينزل القرآن إلا في هذا الجو الملائكيّ، الروحانيّ".[١]

ثم تحدث الإمام الصالحي عن كيفية تلقي جبريل عليه السلام الوحي فقال: "قال الطيبي[٢]: لعل نزول القرآن على الرسول ﷺ أن يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا، أو يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به إلى الرسول ويلقيه عليه.

قال القطب الرازي في حواشي الكشاف[٣]: الإنزال لغة بمعنى الإيواء، وبمعنى تحريك الشيء من علو إلى سفل، وكلاهما لا يتحققان في الكلام، فهو مستعمل فيه في معنى مجازي، فمن قال: القرآن معنى قائم بذات الله تعالى: **فإنزاله أن يوجد الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى ويثبتها في اللوح المحفوظ**، وهذا المعنى مناسب لكونه منقولا عن أول المعنيين اللغويين.

ويمكن أن يكون المراد بإنزاله: إثباته في السماء الدنيا بعد الإثبات في اللوح المحفوظ، وهذا مناسب للمعنى الثاني، والمراد بإنزال الكتب على الرسل أن يتلقفها الملك تلقفا روحانيا، أو يحفظها من اللوح المحفوظ وينزل بها فيلقيها عليهم.

وقال الشيخ – رحمه الله تعالى – في فتاويه[٤]: وسألت شيخنا العلامة محيي الدين الكافيجي عن كيفية التلقف الروحاني فقال لي: لا بكيف.

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: ٦٥، ٦٦) باختصار.
(٢) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) (١/ ٦١٥)
(٣) راجع: الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٥٧)، معترك الأقران في إعجاز القرآن (٢/ ٢٦٢)
(٤) الحاوي للفتاوي للسيوطي (١/ ٣٩٨)

وقال البيهقي في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[1]: يريد والله تعالى أعلم: إنا أسمعنا الملك وأفهمناه إياه وأنزلناه بما سمع، فيكون الملك منتقلا به من علو إلى سفل.

قال أبو شامة[2]: هذا المعنى مطرد في جميع ألفاظ الإنزال المضافة إلى القرآن أو إلى شيء منه يحتاج إليه أهل السنة المعتقدون قدم القرآن وأنه صفة قائمة بذات الله تعالى....

وقال الإمام العلامة شهاب الدين محمد بن أحمد بن الخليل الخولي- بضم الخاء المعجمة- رحمه الله تعالى[3]: كلام الله تعالى المنزل قسمان: قسم قال الله تعالى لجبريل قل للنبي الذي أنت مرسل إليه: إن الله يقول: افعل كذا وكذا وأمر بكذا وكذا- ففهم جبريل ما قاله ربه ثم نزل على ذلك النبي وقال له ما قال له ربه، ولم تكن العبارة تلك العبارة، كما يقول الملك لمن يثق به: قل لفلان يقول لك الملك: اجتهد في الخدمة واجمع جندك للقتال. فإن قال الرسول: يقول لك الملك: لا تتهاون في خدمتي ولا تترك الجند يتفرق وحثهم على المقاتلة، لا ينسب إلى كذب أو تقصير في أداء الرسالة.

وقسم آخر قال الله تعالى لجبريل: اقرأ على النبي هذا الكتاب. فنزل جبريل بكلام الله تعالى من غير تغيير، كما يكتب الملك كتابا ويسلمه إلى أمين، ويقول: اقرأه على فلان، فهو لا يغير منه كلمة ولا حرفاً.

قال الشيخ رحمه الله تعالى[4]: القرآن هو القسم الثاني، والقسم الأول هو السنة، كما ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن. [5]

---

(١) سورة القدر، الآية: ١

(٢) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز (١/ ١٤)

(٣) هو الإمام الجويني. وينظر نص كلامه في: الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٥٩)، معترك الأقران في إعجاز القرآن (٢/ ٢٦٤)، مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٥٠)

(٤) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٥٩)

(٥) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٢٥٥ - ٢٥٦).

قلت: القول الذي يبدو لي رجحانه هو أن جبريل عليه السلام تلقى القرآن من ربه دون واسطة ؛ لأن هذا هو الأليق بالقرآن الكريم والأنسب بعظمته وفخامة شأنه.

قال أبو شهبة: "هذا المبحث من أنباء الغيب، فلا يطمئن الإنسان إلى رأي فيه إلا إن ورد عن معصوم، ولم نطّلع في ها على نقل من المعصوم ﷺ وإنما هي نقول عن بعض العلماء"؛ ثم ذكر قول الإمام الطيبي، ثم قال: "وكلمة «لعل» لا تفيد القطع، وإنما تفيد التجويز والاحتمال، وقد ردد الإمام «الطّيبي» الأمر بين هين الاحتمالين، ولم يقطع برأي". ثم ذكر قول الإمام «البيهقي» في تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ**﴾[1] قال: يريد– والله أعلم– إنا أسمعنا الملك، وأفهمناه إياه، وأنزلناه بما سمع، **وهذا الرأي أمثل الآراء وأولاها بالقبول**، ويشهد له ما رواه «الطبراني» من حديث النَّوَّاس بْنِ سَمْعَان قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْمُرَ بِأَمْرٍ تَكَلَّمَ بِهِ ، فَإِذَا تَكَلَّمَ بِهِ أَخَذَتِ السَّمَاءَ رَجْفَةٌ أَوْ قَالَ: رِعْدَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَإِذَا سَمِعَ بِذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاءِ صُعِقُوا فَيَخِرُّونَ سُجَّدًا ، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام ، فَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ ، فَيَمُرُّ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ، فَكُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَتْهُ مَلَائِكَتُهَا مَاذَا قَالَ رَبُّنَا؟ قَالَ: قَالَ جِبْرِيلُ عليه السلام : قَالَ رَبُّكُمُ الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ، فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ كَمَا قَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ حَيْثُ أُمِرَ مِنْ سَمَاءٍ وَأَرْضٍ**».[2]

---

(١) سورة القدر، الآية: ١

(٢) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (١/ ٣٣٦) حديث (٥٩١) ، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء (٥/ ١٥٣) وقال: غريب من حديث عبد الله بن أبي زكريا، عن رجاء بن حيوة، لم يروه إلا عبد الرحمن بن يزيد. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٩٤) حديث (١١٢٨٨) وقال: رواه الطبراني عن شيخه يحيى بن عثمان بن صالح، وقد وثق، وتكلم فيه من لم يسم بغير قادح معين، وبقية رجاله ثقات.

ثم قال: "والاحتمال الثاني: وهو حفظه من اللوح المحفوظ وإن كان غير مستبعد إلا أن ما دل عليه النص أولى، وينبغي أن يصار إليه وهو الأليق بالقرآن الكريم.

وفي تلقي «جبريل» عليه السلام القرآن من ربه دون وساطة: إعظام للقرآن وتفخيم لشأنه، وتنبيه إلى غاية العناية به، والحرص والمحافظة عليه، ومبالغة في صيانته عن التحريف، والتبديل". [١]

ثم ذكر الإمام الصالحي بابا في شدة الوحي وثقله، فقال:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[٢]

وقال زيد بن ثابت رضي الله عنه : أنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي فكادت فخذه ترض فخذي. [٣]

وقالت عائشة –رضي الله تعالى عنها–: إن كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فَتَضْرِبُ بِجِرَانِهَا[٤] فما تستطيع أن تتحرك حتى يسرى عنه. وتلت الآية.[٥]

ثم ساق الإمام الصالحي جملة من الأحاديث الوارد في شدة الوحي وثقله على رسول الله ﷺ . [٦]

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: ٦٠، ٦١)

(٢) سورة المزمل، الآية: ٥

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ٢٥) حديث (٢٨٣٢) كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ... ﴾، ومسلم في صحيحه (٣/ ١٥٠٨) حديث (١٨٩٨) كتاب الإمارة، باب سقوط فرض الجهاد عن المعذورين، وأخرجه غيرهما.

(٤) الْجِيرانُ: مُقَدَّمُ العُنُق مِنْ مَذْبَح الْبَعِيرِ إِلَى مَنْحَرِه، فإذا برك البعير ومد عنقه على الأرض، قيل: ألقى جِرانه بالأرض. (تهذيب اللغة (١١/ ٢٧) مادة: (جرن).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٤١/ ٣٦٢) حديث (٢٤٨٦٨)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٥٧) وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

(٦) يراجع: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٢٥٧ – ٢٥٩)

ثم ذكر عدة تنبيهات في هذا السياق فقال:

الأول: قال الإمام أبو شامة: وهذا العرق الذي كان يغشاه واحمرار الوجه والغطيط وثقله على الراحلة وعلى الفخذ؛ لثقل الوحي، كما أخبره بذلك الله تبارك وتعالى في ابتداء أمره بقوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[١] ؛ وذلك لضعف قوى البشر عن تحمل مثل ذلك الوارد العظيم من ذلك الجناب الجليل.

قال ابن إسحاق[٢]: وللنبوة أثقال ومؤنة لا يحملها إلّا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله تعالى.

الثاني: قال شيخ الإسلام البلقيني: هذا الذي كان يحصل له حين تلقي الوحي من الجهد حال يؤخذ فيه عن حال الدنيا من غير موت، وهو مقام برزخي يحصل له عند تلقي الوحي، ولما كان البرزخ العام ينكشف فيه للميت كثير من الأحوال خص الله تعالى نبيه ﷺ ببرزخ في الحياة يلقي إليه فيه وحيه المشتمل على كثير من الأسرار...

وثبت في الصحيحين من حديث عائشة – رضي الله تعالى عنها –: لما نزلت آية الحجاب وأن سودة خرجت بعد ذلك إلى المناصع ليلا فقال عمر: قد عرفناك يا سودة، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فسألته وهو جالس يتعشّى والعرق في يده، فأوحى الله تعالى إليه والعرق في يده ثم رفع رأسه فقال: إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن.[٣]

---

(١) سورة المزمل، الآية: ٥

(٢) سيرة ابن اسحاق (ص: ١٣١)، سيرة ابن هشام ت طه عبد الرؤوف سعد (١/ ٢٢٤)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٤١) حديث (١٤٦) كتاب الوضوء، باب خروج النساء إلى البراز، ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٠٩) حديث ٢١٧٠) كتاب السلام، باب إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان، وأخرجه غيرهما.

قال ابن كثير[١]: فدل هذا على أنه لم يكن عند الوحي يغيب عنه إحساسه بالكلية بدليل أنه جالس لم يسقط، ولم يسقط العرق من يده. [٢]

قلت: صدق ابن كثير فيما قال، فهذه الشدة التي كانتْ تقعُ به ﷺ عندما يَغشاهُ الوحيُ لم تجعله ﷺ يغيب عن وعيه، وإنما كان يتلقى الوحي بوعي كامل، فهو يتلقاه بقلبه وينطبع في عقله.

وأما الجانب الظاهر المتعلق بآثار الوحي المحسوسة فقد تحدث عنها الصحابة، رضوان الله عليهم، ونقلوها، وأول ما لاحظوا أن النبي ﷺ كان يعاني من التنزيل شدّة، فقد ورد عن عبادة بن الصامت أنه قال: «**كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ كُرِبَ لِذَلِكَ وَتَرَبَّدَ**[٣] **وَجْهُهُ**»[٤]. وأنه إذا أنزل عليه الوحي أخذته البرحاء[٥] كما روى البخاري[٦].

وقد لاحظ الصحابة تصبب العرق من جبينه، كما سبق عن عائشة رضي الله عنها.

وكانت تلك الشّدّة المصاحبة للوحي التي تغشى رسول الله ﷺ يمتد تأثيرها إلى ما يتصل به أو يلامسه، فها هم الصحابة يشهدون رسول الله ﷺ يوحى إليه وهو على ناقته، فتغشى الناقة تلك الشدة، كما روى ابن سعد عن أبي أروى الدّوسي، قال: «**رأيت الوحي ينزل على النبي ﷺ وإنه**

---

(١) البداية والنهاية (٤/ ٥٤)

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٢٥٩، ٢٦٠) باختصار.

(٣) (تربد) أي تغير وصار كلون الرماد. (شرح النووي على مسلم (١٥/ ٨٩)

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨١٧) حديث (٢٣٣٤) كتاب الفضائل، باب عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي، وأخرجه غيره.

(٥) البرحاء – بضم الموحدة وفتح الراء ثم مهملة ثم مد –: هي شدة الحمى، وقيل: شدة الكرب، وقيل: شدة الحر، ومنه برح بي الهم: إذا بلغ مني غايته. (فتح الباري لابن حجر (٨/ ٤٧٦)

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٧٣) حديث (٢٦٦١) كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضا، (٥/ ١١٦) حديث (٤١٤١) ، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب حديث الإفك، وأخرجه غيره.

على راحلته، فترغو وتفتل يديها، حتى أظن أن ذراعها ينقصم، فربما بركت، وربما قامت موتّدة يديها، حتى يسرّى عنه من ثقل الوحي، وأنه ليتحدّر منه العرق مثل الجمان(١)».(٢)

وها هو زيد بن ثابت كاتب الوحي يقول: « إِنِّي لَجَالِسٌ إِلَى جَنْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَخِذِي تَحْتَ فَخِذِهِ، وَهُوَ يُمْلِي عَلَيَّ ﴿**لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ**...﴾(٣) وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ جَالِسٌ يَسْمَعُ، فَقَالَ: وَاللهِ لَوْ أَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ الْجِهَادَ لَجَاهَدْتُ يَا نَبِيَّ اللهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ فِيهِ الْقُرْآنَ، فَثَقُلَتْ فَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَرُضُّها ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ. (٤)

وكان مما لاحظه الصحابة عند نزول الوحي ما رواه عدد من المحدّثين عن عمر ابن الخطاب أنه قال: «**كَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْوَحْيُ يُسْمَعُ عِنْدَ وَجْهِهِ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ**»(٥). (٦)

وبتأمل حالة نزول الوحي "نرى البعد شاسعًا بينها وبين عارض السبات الطبيعي الذي يعتري المرء في وقت حاجته إلى النوم؛ فإنها كانت تعروه قائمًا أو قاعدًا، وسائرًا أو راكبًا، وبكرة أو عشيًّا، وفي أثناء حديثه مع أصحابه أو أعدائه، وكان تعروه فجأة وتزول عنه فجأة، وتنقضي في لحظات يسيرة، لا بالتدريج الذي يعرض للوسنان، وكانت تصاحبها تلك

(١) الجمان هو اللؤلؤ الصغار. وقيل: حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣٠١)

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ١٥٥)

(٣) سورة النساء، من الآية: ٩٥

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥/ ١٢٣) حديث (٤٨١٥)

(٥) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٦٣ – ٢٦٥) حديث (٢٢٣) وقال أحمد شاكر في تعليقه تعليقه عليه: إسناده صحيح.

(٦) محاضرات في علوم القرآن – غانم قدوري (ص: ٢٤ – ٢٥) بتصرف واختصار.

الأصوات الغريبة التي لا تسمع منه ولا غيره عند النوم. وبالإجمال كانت حالًا تباين حال النائم في أوضاعها وأوقاتها وأشكالها وجملة مظاهرها.

فهي إذًا عارض غير عادي.

ثم نرى المباينة التامة والمناقضة الكلية بينها وبين تلك الأعراض المرضية والنوبات العصبية التي تصفرُّ فيها الوجوه، وتبرد الأطراف، وتصطك الأسنان، وتتكشف العورات، ويحتجب نور العقل، ويخيَّم ظلام الجهل؛ لأنها كانت مبعث نمو في قوة البدن، وإشراق في اللون، وارتفاع في درجة الحرارة، وكانت إلى جانب ذلك مبعث نور لا ظلمة، ومصدر علم لا جهالة، بل كان يجيء معها من العلم والنور ما تخضع العقول لحكمته، وتتضاءل الأنوار عند طلعته". (١)

فلحظات الوحي هي لحظات السكينة والوقار، وكانت هذه اللحظات المباركة معلومة للصحابة ﷺ ، فعن أبي هريرة ﷺ أنه قال: «**وَكَانَ إِذَا جَاءَ الْوَحْيُ لَا يَخْفَى عَلَيْنَا، فَإِذَا جَاءَ فَلَيْسَ أَحَدٌ يَرْفَعُ طَرْفَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى يَنْقَضِيَ الْوَحْيُ**».(٢)

ثم ذكر الإمام الصالحي بابا في أنواع الوحي فقال:

قال العلماء – رضي الله تعالى عنهم –: كان الوحي ينزل إلى رسول الله ﷺ في أحوال مختلفة:

الأول: الرؤيا الصادقة في المنام.

الثاني: أن ينفث الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه.

(١) النبأ العظيم (ص: ١٠١)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٤٠٥) حديث (١٧٨٠) كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، وأخرجه غيره.

الثالث: أن يأتيه مثل صلصلة الجرس وهو أشدّه عليه، فيتلبّس به الملك حتى إن جبينه ليتفصّد عرقا في اليوم الشديد البرد وحتى إن راحلته لتبرك على الأرض.

الرابع: أن يكلمه الله تعالى بلا واسطة من وراء حجاب في اليقظة كما في ليلة الإسراء على القول بعدم الرؤية.

الخامس: أن يكلمه الله تعالى كفاحا بغير حجاب على القول بالرؤية ليلة الإسراء.

السادس: أن يكلمه الله تعالى في النوم.

قال الشيخ رحمه الله تعالى[١]: وليس في القرآن من هذا النوع شيء فيما أعلم.

وذكر بعضهم من هذا سورة الكوثر، لكن الأشبه أن يقال: القرآن كله نزل في اليقظة، وكأنه خطر له في النوم سورة الكوثر المنزلة في اليقظة، أو عرض عليه الكوثر الذي وردت فيه السورة فقرأها عليهم وفسّرها لهم. [٢]

السابع: مجيء الوحي كدوي النحل.

الثامن: العلم الذي يلقيه الله تعالى في قلبه وعلى لسانه عند الاجتهاد في الأحكام.

لأنه اتّفق على أنه ﷺ إذا اجتهد أصاب قطعا وكان معصوما عن الخطأ وهذا خرق للعادة في حقه ﷺ دون الأمة، وهو يفارق النّفث في الرّوع من حيث حصوله بالاجتهاد والنفث بدونه.

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٦١)، معترك الأقران في إعجاز القرآن (٢/ ٢٦٧)
(٢) الإتقان في علوم القرآن (١/ ٨٩)، معترك الأقران في إعجاز القرآن (٢/ ٢٦٦)

قال في إرشاد الساري[1]: ويعكر عليه أن الظاهر من كلام الأصوليين أن اجتهاده ﷺ والوحي قسمان. [2]

قلت: هذه الأنواع أو الكيفيات التي ذكرها الإمام الصالحي بعضها متداخل في بعض، ويمكن حصرها فيما يلي:

١- تكليم الله نبيه بما يريد من وراء حجاب إما في اليقظة أو في المنام.

٢- الإلهام أو القذف في القلب.

٣- الرؤيا في المنام.

٤- تعليم الله أنبياءه بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام .

والوحي الذي بواسطة جبريل عليه السلام له حالات ثلاث:

أ- أن يأتي جبريل في صورته التي خلقه الله عليها، وهذه الحالة نادرة، وقليلة.

ب- أن يأتي جبريل في صورة رجل كدحية الكلبي، أو أعرابي مثلا، ويراه الحاضرون ويسمعون قوله، ولا يعرفون هويته، ولكن النبي يعلم علم اليقين: أنه جبريل.

ج- أن يأتي على صورته الملكية، وفي هذه الحالة لا يرى، ولكن يصحب مجيئه صوت كصلصلة الجرس، أو دوي كدوي النحل.

والوحي بجميع أنواعه يصحبه علم يقيني ضروري من الموحى إليه بأن ما ألقي إليه حق من عند الله، ليس من خطرات النفس ولا نزعات الشيطان، وهذا العلم اليقيني لا يحتاج إلى مقدمات، وإنما هو من قبيل إدراك الأمور الوجدانية، كالجوع والعطش والحب والبغض. [3]

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١/ ٦٠)

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٢٦٣ - ٢٦٥) باختصار.

(٣) المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: ٨٥ - ٨٧) باختصار.

والقرآن الكريم لم ينزل منه شيء إلا عن طريق جبريل عليه السلام ولم يأت شيء منه عن تكليم أو إلهام أو منام، بل كله أوحي به في اليقظة وحيا جليّا، ولا يخالف هذا ما ورد في صحيح مسلم عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ**» فَقَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾[(١)]. [(٢)]

إذ ليس المقصود بالإغفاءة في الحديث: النوم، وإنما المقصود: الحالة التي كانت تعتريه عند نزول الوحي، وهي الغيبوبة عما حوله. [(٣)]

وقد ذكر الإمام الصالحي الأدلة على كل نوع من أنواع الوحي التي ذكرها، ثم قال: هذا ما وقفت عليه من صفات الوحي.

وأما صفة حامله: فمجيء جبريل – عليه الصلاة والسلام – في صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح يتناثر من أجنحته اللؤلؤ والياقوت، وقد وقع ذلك مرتين: مرة في السماء ليلة المعراج، ومرة في الأرض.

ومجيئه في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشّعر.

وفي صورة دحية الكلبي.

ومجيئه في صورة رجل غير دحية.

ونزول الوحي على لسان ملك الجبال، ونزوله على لسان إسرافيل. [(٤)]

---

(١) سورة الكوثر، الآيات: ١ – ٣

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٣٠٠) حديث (٤٠٠) كتاب الصلاة، باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، وأخرجه غيره.

(٣) المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: ٦٣)

(٤) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٢٦٥) باختصار.

قلت: القرآن الكريم لم ينزل منه شيء إلا عن طريق جبريل عليه السلام كما تقدم قريبا.

وأما وصف الإمام الصالحي لجبريل عليه السلام بأن له ستمائة جناح يتناثر من أجنحته اللؤلؤ والياقوت"، فقد ورد ما يؤيده عن ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : "**رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عليه السلام وَلَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ، يَنْتَثِرُ مِنْ رِيشِهِ التَّهَاوِيلُ**[1]: **الدُّرُّ، وَالْيَاقُوتُ**".[2]

قلت: وأصل الحديث في الصحيحين بدون الزيادة الأخيرة، ولفظه: عَنْ عبد الله بنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه في قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿**فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠**﴾[3] قَالَ: «**رَأَى جِبْرِيلَ، لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ**».[4]

ثم ذكر الإمام الصالحي بعض التنبيهات في هذا الصدد فقال:

الأول: ذكر الإمام الحليمي – رحمه الله تعالى – أن الوحي كان يأتي النبي ﷺ على ستة وأربعين نوعا، فذكرها. قال الحافظ[5]: وغالبها من صفة حامل الوحي، ومجموعها يدخل فيما ذكر.

الثاني: استشكل تشبيه مجيء الوحي بصلصلة الجرس؛ إذ المحمود لا يشبّه بالمذموم؛ إذ حقيقة التشبيه: إلحاق ناقص بكامل،

---

(١) التهاويل: أي الأشياء المختلفة الألوان. ومنه يقال لما يخرج في الرياض من ألوان الزهر: التهاويل، وكذلك لما يعلق على الهوادج من ألوان العهن والزينة. وكأن واحدها تهوال. وأصلها مما يهول الإنسان ويحيره. (النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٨٣)

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٨٣) حديث (٣٩١٥) وقال أحمد شاكر في تعليقه عليه: إسناده صحيح. وذكره ابن كثير في تفسيره (٧/ ٤٥١) عن المسند بنحوه، وقال: "وهذا إسناد جيد قوي". وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٩/ ٢٤٣) حديث (٥٣٦٠)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٣٣٧) حديث (٦٤٢٨)، وأخرجه غيرهم.

(٣) سورة النجم، الآيتان: ٩ ، ١٠

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١١٥) حديث (٣٢٣٢) كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، وأخرجه مسلم في صحيحه صحيح مسلم (١/ ١٥٨) حديث (١٧٤) كتاب الإيمان، باب: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ، وأخرجه غيرهما.

(٥) فتح الباري لابن حجر (١/ ٢٠)

والمشبّه الوحي وهو محمود، والمشبّه به صوت جرس وهو مذموم؛ لصحة النّهي عنه والتّنفير من موافقة ما هو عليه والإعلام بأنه لا تصحبهم الملائكة، فكيف يشبّه ما فعله الملك بأمر تنفر منه الملائكة؟

والجواب: بأنه لا يلزم في التشبيه تساوي المشبّه بالمشبه به في الصفات كلها، بل ولا في أخسّ وصف له، بل يكفي اشتراكهما في صفة ما، فالمقصود هنا بيان الحسّ، فذكر ما ألف السامعون سماعه تقريبا لأفهامهم، والحاصل أن الصوت له جهتان: جهة قوة وجهة طنين، فمن جهة القوة وقع التشبيه، ومن جهة الصوت وقع التنفير عنه، وعلّل بكونه مزمار الشيطان.

قال ابن بطال(١)**: وعلى مثل هذه الصفة تتلقى الملائكة الوحي من الله تعالى،** وقال التوربشتي(٢): وهذا الصوت من الوحي تشبيها بما يوحى إلى الملائكة على ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ : «**إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ**». (٣)

قال القاضي(٤): ما جاء من مثل ذلك يجري على ظاهره، وكيفية ذلك وصورته مما لا يعلمه إلا الله تعالى أو من أطلعه الله تعالى على شيء

---

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال (١/ ٣٦)

(٢) فضل الله التوربشتي. رجل مُحدث فَقِيه، من أهل شيراز، شرح مصابيح الْبَغَوِيّ شرحا حسنا وَلَعَلَّه كَانَ فِي حُدُود الستمائة. والتوربشتي: نسبة إلى توربشت – بضم المثناة من فوق ثم واو ساكنة ثم راء مكسورة ثم باء موحدة مكسورة ثم شين معجمة ساكنة ثم مثناة من فوق – من شيراز. (طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/ ٣٤٩)، طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة (٢/ ٣٤)، لب اللباب في تحرير الأنساب للسيوطي (ص: ٥٥)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٨٠) حديث (٤٧٠١) كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ **إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ** ﴾، وأخرجه غيره.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (١/ ٥١٠)

من ذلك من ملائكته ورسله، وما يتأوّل هذا ويحيله عن ظاهره إلا ضعيف النظر والإيمان؛ إذ جاءت به الشريعة ودلائل العقل لا تحيله.

والصلصلة المذكورة: قيل: صوت الملك بالوحي. **وقيل:** صوت حفيف أجنحة الملائكة. قال الخطّابي[١]: يريد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يثبته أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد.

قوله: خضعانا– بفتحتين، وبضم أوله وسكون ثانيه: مصدر بمعنى خاضعين.

الصّفوان: الحجر الأملس.

الثالث: الحكمة في تقديم الصلصلة أن يقرع سمعه الوحي، فلا يبقى فيه مكان لغيره، فلما كان الجرس لا تحصل صلصلته إلا بتدارك وقع التشبيه به دون غيره من الآلات. [٢]

الرابع: دلّ قوله: «وهو أشدّه عليّ»[٣] على أن الوحي كله شديد، ولكن هذه الصفة أشدها، وهو واضح؛ لأن الفهم من كلام مثل الصلصلة أشكل من الفهم من كلام الرجل بالتخاطب المعهود، **والحكمة فيه:** أن العادة جرت بالمناسبة بين القائل والسامع، وهي هنا إما باتصاف السامع بوصف القائل لغلبة الروحانية وهو النوع الأول، وإما باتصاف القائل بوصف السامع وهو البشرية وهو النوع الثاني، **والأول أشد بلا شك.**

قال الإمام البلقيني[٤]: وسبب ذلك أن الكلام العظيم له مقدّمات تؤذن بتعظيمه للاهتمام به.

---

(١) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) للخطابي (١/ ١٢١)

(٢) فتح الباري لابن حجر (١/ ٢٠)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٦) حديث (٢) كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ؟ ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨١٦) حديث (٢٣٣٣) كتاب الفضائل، باب عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي، وأخرجه غيرهما.

(٤) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ٢٠)

قال: وقال بعضهم: وإنما كان أشدّه عليه؛ ليستجمع قلبه فيكون أوعى لما سمع. انتهى. إلى آخر ما ذكره الإمام الصالحي من تنبيهات في هذا الصدد. (١)

قلت: تقدم تقريرنا لكون القرآن الكريم نزل كله في الحالة التي يكون فيها جبريل عليه السلام على ملكيته...، وذكرنا أن هذا هو الذي يليق بالقرآن الكريم، وينفي أي احتمال أو تلبيس في تلقيه، وأننا لم نقف على أي رواية تفيد نزول شيء من القرآن عن طريق جبريل عليه السلام وهو في صورة رجل، وهذا بخلاف السُّنَّة.

ثم تحدث الإمام الصالحي عن فترة الوحي، فقال:

روى ابن سعد عن ابن عباس(٢) – رضي الله تعالى عنهما –، والإمام أحمد والبخاري والبيهقي عن الزهري(٣) – رحمه الله تعالى –، والشيخان عن جابر بن عبد الله(٤) – رضي الله تعالى عنهما –، قال الأوّلان: إن رسول الله ﷺ لما نزل عليه الوحي بحراء(٥) مكث أياما لا يرى جبريل، فحزن لذلك حزنا شديدا– ولفظ الزهري: فتر الوحي فترة فيما بلغنا– غدا منه مرارا حتى يتردّى من رؤوس شواهق الجبال.

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٢٦٥ – ٢٦٩) باختصار.
(٢) أخرجه عن ابن عباس – رضي الله عنهما –: ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ١٥٤)
(٣) أخرجه عن الزهري رحمه الله : البخاري في صحيحه (١/ ٧) حديث (٣، ٤) كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، وأخرجه غيره.
(٤) أخرجه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه : البخاري في صحيحه (٤/ ١١٦) حديث (٣٢٣٨) كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين، والملائكة في السماء، آمين فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، ومسلم في صحيحه (١/ ١٤٣) حديث (١٦١) كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، وأخرجه غيرهما.
(٥) حراء: جبل بمكة معروف. تهذيب اللغة (٥/ ١٣٨)

ولفظ ابن عباس: حتى كاد يغدو إلى ثبير[1] مرة وإلى حراء مرة أخرى، يريد أن يلقي نفسه منه.

فبينا رسول الله ﷺ كذلك عامدا لبعض تلك الجبال. قال الزهري: فكلما وافى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدّى له جبريل، فقال له: يا محمد أنت رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقرّ عينه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدّى له جبريل. فقال له مثل ذلك.

قال جابر: قال رسول الله ﷺ : جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي، فبينا أنا أمشي إذا سمعت صوتا فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، ثم نوديت فرفعت بصري إلى السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي- وفي لفظ: "على عريش بين السماء والأرض فرع-بت منه". - وفي لفظ "فجثثت". وفي لفظ "فجثثت"- فرقا حتى هويت إلى الأرض. فرجعت حتى أتيت خديجة فقلت: زمّلوني زملوني، وفي لفظ دثّروني دثروني صبّوا علي ماء باردا، فأنزل الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾[2] .

قال ابن عباس والزّهريّ: فتتابع الوحي وحمي.

قال ابن إسحاق ومتابعوه: وجاءه جبريل بسورة الضحى يقسم له ربه، وهو الذي أكرمه بما أكرمه ما ودّعه وما قلاه، فقال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[3]. [4]

(١) ثَبِيرٌ جَبَلٌ بمَكَّةَ. المحكم والمحيط الأعظم (١٠/ ١٤٤)

(٢) سورة المدثر، الآيات: ١ – ٥

(٣) سورة الضحى، الآيات: ١ – ٣

(٤) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٢٧١) باختصار.

قلت: رواية الزهري : "فتر الوحي فترة – فيما بلغنا– غدا منه مرارا حتى يتردّى من رؤوس شواهق الجبال". وقوله: "فكلما وافى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدّى له جبريل، فقال له: يا محمد أنت رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقرّ عينه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدّى له جبريل. فقال له مثل ذلك".

هذه الرواية تنسب اليأس الشديد إلى النبي ﷺ لدرجة التفكير في الانتحار، وبالتالي فهي "تتعارض مع ما كان عليه ﷺ من الإيمان الكامل، واليقين المطلق الذي لا تزعزعه الكوارث، والذي يستبعد معه التفكير في الانتحار، مهما كانت أسبابه ودواعيه، وقول الإسماعيلي: وأما إرادته إلقاء نفسه من رءوس الجبال بعد ما نبئ فلضعف قوته عن تحمل ما حمله من أعباء النبوة، ولخوفه مما يحصل له من القيام بها، من مباينة الخلق جميعا، كما يطلب الرجل الراحة من غم يناله في العاجل بما يكون فيه زواله عنه، ولو أفضى إلى هلاك نفسه عاجلا.

وقول بعضهم: إن إرادته ذلك كانت حزنا على ما فاته من الأمر الذي بشره به ورقة، هذه الأقوال مما لا تستريح إليها النفس.

والذي أستريح إليه أن هذه الزيادة من رواية معمر، وأن هذا التصور من بلاغات الزهري، وليس موصولا، فلا يثبت به ما يتنافى والطبع السليم. (١)

قلت: هذه الزيادة الواردة في رواية الإمام الزهري وردت في صحيح الإمام البخاري إلا أنه لم يذكر لها إسنادا، وإنما قال: (فيما بلغنا).

وهي مردودة لما يلي:

أولا– أن هذه الزيادة ليست من كلام عائشة – رضي الله عنها – ، بل هي من كلام الزهري ، الذي لم يدرك تلك الحادثة؛ لأنه من التابعين ،

(١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم (١/ ٥٣١)

ولم يذكر أن أحدا من الصحابة حدثه بها، ولذا نصَّ على ذلك في الرواية نفسها بقوله : (فيما بلَغنا).

قال ابن حجر: "ثم إن القائل: (فيما بلغنا) هو الزهري. ومعنى الكلام أن في جملة ما وصل إلينا من خبر رسول الله ﷺ في هذه القصة، وهو من بلاغات الزهري، وليس موصولا. وقال الكرماني: هذا هو الظاهر".[1]

ثانيا– بلاغات الزهري[2] وغيره لا تُقبل ؛ لأنها مقطوعة الإسناد من أوله ، فهي كالمعلَّقات تعريفاً وحكماً، فلا يُجزم بثبوتها، بل الأصل فيها الضعف؛ لانقطاع الإسناد، حتى توصل بإسناد ثابت. **ومجرد وجود مثل هذه البلاغات أو المعلقات في كتاب الإمام البخاري لا يعني أنها صحيحة عنده** ، أو أنها مما يصح أن يقال فيها : رواه البخاري ؛ لأن الذي يقال فيه ذلك هو ما رواه فيه مسندا .

قال الشيخ الألباني: "هذا العزو للبخاري خطأ فاحش؛ ذلك لأنه يوهم أن قصة التردي هذه صحيحة على شرط البخاري ، وليس كذلك ، وبيانه أن البخاري أخرجها في آخر حديث عائشة في بدء الوحي ... [وذكر الرواية السابقة] .

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٣٥٩)

(٢) أي أنها من مراسيل الزهري، وقد وصف العلماء مراسيل الزهري بأنها أوهى المراسيل. قال الذهبي: "ومِن أوهى المراسيل عندهم: مراسيلُ الحَسَن. وأوهى من ذلك: مراسيلُ الزهري، وقتادة، وحُمَيد الطويل، من صغار التابعين. وغالبُ المحقِّقين يَعُدُّون مراسيلَ هؤلاء مُعْضَلاتٍ ومنقطِعات، فإنَّ غالبَ رواياتِ هؤلاء عن تابعيٍّ كبير، عن صحابيّ. فالظنُّ بِمُرْسِلِه أنه أَسقَطَ من إسنادِه اثنين". الموقظة في علم مصطلح الحديث (ص: ٤٠)
قال: يحيى بن سعيد: مرسل الزهري شر من مرسل غيره؛ لأنه حافظ، وكل ما يقدر أن يسمى سمي، وإنما يترك من لا يستجيز أن يسميه. وقال يحيى بن معين: مراسيل الزهري ليس بشيء. وقال الشافعي: إرسال الزهري – عندنا – ليس بشيء. شرح علل الترمذي (١/ ٥٣٥)، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (١/ ٢٣٢)

هكذا أخرجه بهذه الزيادة أحمد وأبو نعيم في الدلائل والبيهقي في الدلائل من طريق عبد الرزاق عن معمر به . ومن هذه الطريق أخرجه مسلم لكنه لم يسق لفظه، وإنما أحال به على لفظ رواية يونس عن ابن شهاب ، **وليس فيه الزيادة** . وكذلك أخرجه مسلم وأحمد من طريق عقيل بن خالد : قال ابن شهاب ، به ، **دون الزيادة** . وكذلك أخرجه البخاري في أول الصحيح عن عقيل به .

قلت [القائل هو الشيخ الألباني] : **ونستنتج مما سبق أن لهذه الزيادة علتين** :

الأولى : تفرد معمر بها ، دون يونس وعقيل ؛ فهي شاذة .

الأخرى : أنها مرسلة معضلة ؛ فإن القائل : (فيما بلغنا) إنما هو الزهري ، كما هو ظاهر من السياق ، وبذلك جزم الحافظ في "الفتح... "

قلت : وهذا مما غفل عنه الدكتور [يعني : الدكتور البوطي ، مؤلف الكتاب الذي ينتقده الشيخ] ، أو جهله ، فظن أن كل حرف في "صحيح البخاري" هو على شرطه في الصحة ، ولعله لا يفرق بين الحديث المسند فيه والمعلق ، كما لم يفرق بين الحديث الموصول فيه والحديث المرسل الذي جاء فيه عرضا ، كحديث عائشة هذا الذي جاءت في آخره هذه الزيادة المرسلة.

واعلم أن هذه الزيادة لم تأت من طريق موصولة يحتج بها كما بينته في (سلسلة الأحاديث الضعيفة) برقم (٤٨٥٨) [١] . [٢]

فهذه الزيادة لم ترد في طريق من طرق الحديث على كثرتها إلا في رواية معمر، وهذا التفرد يوجب – على الأقل – التوقف في قبول هذه الزيادة ، بل يوجب ردها وإبطالها لما فيها من القوادح. [٣]

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة للألباني (١٠/ ٤٥٠) وما بعدها.

(٢) دفاع عن الحديث النبوي والسيرة للألباني (٤٠ ، ٤١) باختصار.

(٣) محمد رسول الله ﷺ منهج ورسالة – بحث وتحقيق ، محمد الصادق عرجون (٣٩٥/١) بتصرف.

ولعل الناظر في هذه الرواية يعجب أن هذا الحديث يرويه الزهري نفسه مسندا، ولكن بدون هذه الزيادة.

ولو كان ﷺ قال شيئا مما ورد في هذه الزيادة لنقل مرفوعا إليه ﷺ نقلا متواترا أو مشهورا، لا بلاغا غير مسند، كيف ولو كان لذلك وجود في حياة النبي ﷺ لكان من أعظم الأحداث التي تتضافر الرواة على نقلها وروايتها؟! ولكن ذلك لم يحدث. (١)

ثالثا– قد جاءت أسانيد أخرى فيها ذِكر حكاية محاولة النبي ﷺ الانتحار أثناء انقطاع الوحي بعدما جاءه أول مرة ، وكلها أسانيد مردودة ، ما بين ضعيف وموضوع.

ومنها: **إسناد ابن مردويه**:

قال الحافظ ابن حجر : "ووقع عند ابن مردويه في " التفسير " من طريق محمد بن كثير عن معمر بإسقاط قوله: (فيما بلغنا) ، ولفظه : (... فترة حزن النبي ﷺ منها حزناً غدا منه) إلى آخره ، فصار كله مدرجا على رواية الزهري عن عروة ، عن عائشة والأول هو المعتمد".(٢)

ومعنى قول ابن حجر: "والأول هو المعتمد": أن رواية الزهري فيها لفظ "فيما بلغنا" وليست هي موصولة.

قال الشيخ الألباني معلِّقاً على ترجيح الحافظ: ويؤيده أمران :

(١) محمد رسول الله ﷺ منهج ورسالة (٣٩٩/١) بتصرف.
(٢) فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٣٥٩، ٣٦٠)

الأول : أن محمد بن كثير هذا ضعيف ؛ لسوء حفظه – وهو الصنعاني المصيصي. – قال الحافظ :" صدوق كثير الغلط"(١) ، وليس هو محمد بن كثير العبدي البصري ؛ فإنه ثقة .

والآخر : أنه مخالف لرواية عبد الرزاق حدثنا معمر ... التي ميزت آخر الحديث عن أوله ، فجعلته من بلاغات الزهري... فدل هذا كله على وهم محمد بن كثير الصنعاني في وصله لهذه الزيادة، وثبت ضعفها.(٢)

ومنها إسناد ابن سعد:

قال محمد بن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني إبراهيم بن محمد بن أبي موسى، عن داود بن الحصين، عن أبي غطفان بن طريف، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما نزل عليه الوحي بحراء مكث أياماً لا يرى جبريل فحزن حزناً شديداً حتى كان يغدو إلى "ثبير" مرة، وإلى "حراء" مرة يريد أن يلقي نفسه منه ... الخ.(٣)

قال الشيخ الألباني : وهذا إسناد موضوع ؛ آفته : إما محمد بن عمر – وهو الواقدي – ؛ فإنه متهم بالوضع ، وقال الحافظ في التقريب: " متروك مع سعة علمه"(٤).

وإما إبراهيم بن محمد بن أبي موسى – وهو ابن أبي يحيى – واسمه : سمعان الأسلمي مولاهم أبو إسحاق المدني – ، وهو متروك أيضاً مثل الواقدي أو أشد ؛ قال فيه الحافظ أيضاً : "متروك"(٥) ، وحكى في

(١) تقريب التهذيب (ص: ٥٠٤)
(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١٠/ ٤٥٣)
(٣) الطبقات الكبرى ط العلمية (١/ ١٥٤)
(٤) تقريب التهذيب (ص: ٤٩٨)
(٥) تقريب التهذيب (ص: ٩٣)

التهذيب[١] أقوال الأئمة الطاعنين فيه ، وهي تكاد تكون مجمعة على تكذيبه ، ومنها قول الحربي :" رغب المحدثون عن حديثه ، روى عنه الواقدي ما يشبه الوضع ، ولكن الواقدي تالف".[٢]

إلى غير ذلك من الأسانيد المردودة.

رابعا– قد ثبت بما تقدم ضعف الأسانيد التي رويت في محاولة النبي ﷺ الانتحار ، بل وبطلان بعضها، **ولا يخفى أن متنها أيضاً باطل منكر ، وذلك من وجوه:**

١– أن هذه الرواية تناقض أصلا من أصول الإيمان، وهو عصمة الأنبياء والرسل، كما تتعارض هذه الرواية مع ما يجب أن يكون عليه النبي ﷺ من رسوخ الإيمان بنبوته وكمال اليقين برسالته التي شرفه بها ربه قبل فترة الوحي. [٣]

فالنبي ﷺ لم يشك لحظة في كونه نبيّاً ، فقد ثبَّت الله تعالى قلبه بالوحي . وأما ما وجده من الرهبة من نزول الوحي أول مرة فيدل على بشريته ، وعلى شدة الوحي ، وقد كان يعاني ﷺ بعد ذلك عند نزول الوحي في بعض صوره.

٢– أن فترة انقطاع الوحي كانت لإزالة الخوف الذي جاء لنبينا محمد ﷺ أول ما جاءه الوحي ، وأنها للاستعداد لما بعده ، فكيف يتفق هذا مع همِّه ﷺ بالانتحار ؟. !

قال الإمام الصالحي : " الحكمة في فترة الوحي– والله أعلم– ليذهب عنه ما كان يجده صلى الله عليه وسلّم من الرّوع وليحصل له التشوق إلى العود".[٤]

---

(١) تهذيب التهذيب (١/ ١٥٨)

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١٠/ ٤٥١)

(٣) محمد رسول الله ﷺ منهج ورسالة – بحث وتحقيق ، محمد الصادق عرجون (١/٣٨٧، ٣٨٨)

(٤) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٢٧٢)

٣- أنه لا يليق بالنبي المعصوم ﷺ أن يحاول الانتحار بالتردي من الجبل، وهو القائل: «**مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا**».(١)

٤- أن ما تضمنته هذه الرواية يشمل أمرين:

أحدهما: محسوس، تمكن مشاهدته، وهو ذهاب النبي ﷺ إلى شواهق الجبال.

والآخر: باطن غير محسوس، وهو قصد التردي من شواهق الجبال ليقتل نفسه، فهذا أمر لا يعلمه إلا الله ، وصاحبه الذي دار في نفسه وعزم على تحقيقه، وإلا من يخبره صاحبه به.

ولم يثبت قط في حديث صحيح أن النبي ﷺ أخبر عن نفسه أنه فعل ذلك ، ولهذا كانت نسبة ذلك إلى النبي ﷺ منكرا من القول وزورا. (٢)

والخلاصة: أن رواية "همّ النبي ﷺ بالانتحار لتأخر الوحي عليه أول أمر الرسالة" لم تصح، والزيادة التي في البخاري ليست على شرطه فلا تنسب للصحيح ، وقد أثبتها البخاري رحمه الله على أنها من قول الزهري لا غيره ، فهي بلاغ مقطوع الإسناد لا يصح، وقد ذكرنا للحديث روايات أخرى كلها يؤكد عدم صحة القصة سنداً ومتناً. والله أعلم. (٣)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ١٣٩) حديث (٥٧٧٨) كتاب الطب، باب شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث، ومسلم في صحيحه (١/ ١٠٣) حديث (١٧٥) كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وأخرجه غيرهما.

(٢) محمد رسول الله ﷺ منهج ورسالة – بحث وتحقيق ، محمد الصادق عرجون (٣٩٦/١) بتصرف.

(٣) روايات همّ النبي ﷺ بالانتحار لا تصح لا سنداً ولا متناً، لمحمد صالح المنجد، (مقال منشور على موقع الإسلام سؤال وجواب برقم ١٥٢٦١١) بتصرف واختصار.

ثم ذكر الإمام الصالحي بعض التنبيهات المتعلقة بهذا الأمر فقال:

الأول: قال الحافظ[١]: فترة الوحي عبارة عن تأخرّه مدة من الزمان، وليس المراد بفترته بين نزول ﴿اقْرَأْ﴾[٢] و ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾[٣] عدم مجيء جبريل إليه، بل تأخر نزول الوحي فقط.

قلت[٤]: وفيه نظر؛ لما سبق أول الباب عن ابن عباس والزهري. [٥]

الثاني: الحكمة في فترة الوحي- والله أعلم- ليذهب عنه ما كان يجده ﷺ من الرّوع، وليحصل له التشوق إلى العود. [٦]

الثالث: اختلف في مقدار مدة الفترة، فقال السّهيلي[٧]: جاء في بعض الأحاديث المسندة أنها كانت سنتين ونصف سنة. ويخدش فيه ما ذكره ابن عباس في تفسيره أنها كانت أربعين يوما، وفي تفسير ابن الجوزي[٨] ومعاني الزجّاج[٩] والفرّاء[١٠]: خمسة عشر يوما. وفي تفسير

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١/ ٢٧)

(٢) سورة العلق، من الآية: ١

(٣) سورة المدثر، الآية: ١

(٤) القائل هو الإمام الصالحي.

(٥) يقصد الحديث المتقدم عن ابن عباس والزهري : "إن رسول الله ﷺ لما نزل عليه الوحي بحراء مكث أياما لا يرى جبريل، فحزن لذلك حزنا شديدا....."الخ.

(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١/ ٦٢)

(٧) الروض الأنف ت السلامي (٢/ ٢٨١)

(٨) زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٧٦، ١٤٠)

(٩) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٣٩)

(١٠) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٧٣)

مقاتل[١]: ثلاثة أيام. **ولعل هذا هو الأشبه بحاله عند ربه، لا ما ذكر السهيلي واحتج لصحته.**

وقال الحافظ – فيما رأيته بخطه في الفتح[٢] –: وهذا الذي اعتمده السهيلي لا يثبت وقد عارضه ما جاء عن ابن عباس: أن مدة الفترة المذكورة كانت أياما.

الرابع: وقع في بعض النسخ القديمة من الفتح[٣] وتبعه الشيخ[٤] وشيخنا القسطلاني[٥] في شرحيهما أن الإمام أحمد روى في تاريخه عن الشعبي أن فترة الوحي كانت ثلاث سنين، وأن ابن إسحاق جزم بذلك.

قلت: وهذا وهم بلا شك، وعزو ذلك لجزم ابن إسحاق أشدّ، وكأنَّ الحافظ قلّد في ذلك ولم يراجع التاريخ المذكور، فإن الموجود فيه وفي الطبقات لابن سعد ودلائل البيهقي عن داود بن أبي هند، عن الشعبي قال: أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء، ولم ينزل عليه القرآن على لسانه، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة.[٦]

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٥/ ١٤٢)

(٢) فتح الباري لابن حجر (١/ ٢٧)

(٣) فتح الباري لابن حجر (١/ ٢٧)

(٤) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٦١)، الخصائص الكبرى (١/ ١٥٧)

(٥) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١/ ٦٧)، (٩/ ١٢٢)

(٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ١٤٩، ١٥٠)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٣٢)، وخرجه ابن كثير في السيرة النبوية (١/ ٣٨٨) فقال: قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن أبي عدي، عن داود بن أبي هند، عن عامر الشعبي، ثم قال: فهذا إسناد صحيح إلى الشعبي.

الخامس: قال الحافظ ابن كثير في البداية[١]: قال بعضهم: كانت الفترة قريبا من سنتين أو سنتين ونصف، والظاهر – والله أعلم – أنها المدة التي اقترن معه ميكائيل كما قال الشّعبي وغيره، ولا ينفي هذا تقدّم إيحاء جبريل إليه أولا: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾[٢] ثم حصلت الفترة التي اقترن معه ميكائيل، ثم اقترن به جبريل بعد نزول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾[٣] ثم حمي الوحي بعد هذا وتتابع.

قلت[٤]: الثابت عن الشّعبي إنما هو إسرافيل كما تقدم، لا ميكائيل، وإن كان ابن التّين جزم به، ولتتأمل عبارة الشّعبي إن كانت تفهم ما قال أنه الظاهر. [٥]

وقال الإمام الصالحي في موضع آخر معقبا على ما ورد عن الشعبي: "وهذا يقتضي أن إسرافيل قرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين، ثم جاءه جبريل.

قال الإمام أبو شامة رحمه الله تعالى: وحديث عائشة– أي الآتي في الباب بعده– لا ينافي هذا فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا، ثم وكل به إسرافيل في تلك المدة التي كان يخلو فيها بحراء، فكان يلقي إليه الكلمة بسرعة، ولا يقيم معه تدريجا وتمرينا، إلى أن جاءه جبريل فعلمه بعد ما غطه ثلاث مرات. فحكت عائشة ما جرى له مع جبريل، ولم تحك ما جرى له مع إسرافيل اختصارا للحديث، أو لم تكن وقفت على قصة إسرافيل. انتهى. وذكر بعض العلماء في حكمة مجيء إسرافيل إليه أنه

(١) البداية والنهاية (٤/ ٤٢)
(٢) سورة العلق، الآية: ١
(٣) سورة المدثر، الآية: ١
(٤) القائل هو الإمام الصالحي.
(٥) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٢٧٣)

الموكل بالنفخ في الصور، والنبي ﷺ بعث قرب الساعة، وكانت بعثته من أشراطها، فبعث إسرافيل لهذه المناسبة ولم يبعث إلى نبي قبله".(١)

قلت: أنكر محمد بن عمر الواقدي خبر الشعبي في أن إسرافيل قرن بنبوته ثلاث سنين. قال ابن سعد: "فذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر فقال: ليس يعرف أهل العلم ببلدنا أن إسرافيل قرن بالنبي ﷺ ، وإن علماءهم وأهل السيرة منهم يقولون: لم يقرن به غير جبريل من حين أنزل عليه الوحي إلى أن قبض ﷺ ". (٢)

قال الحافظ ابن حجر: "ولا يخفى ما فيه فإن المثبت مقدم على النافي إلا إن صحب النافي دليل نفيه فيقدم".(٣)

قلت: الذي يظهر لي رجحانه هو ما ذهب إليه الواقدي، وهو ما رجحه السيوطي ودلل على رجحانه فقال: "المشهور أن جبريل ابتدأه بالوحي؛ لأنه الثابت في أحاديث الصحيحين وغيرهما. وأثر الشعبي مرسل أو معضل، فكيف يعتمد عليه مع ثبوت خلافه في الصحيحين وغيرهما.

وقد ورد في الحديث ما يوهي أثر الشعبي، وهو ما أخرجه مسلم، والنسائي، والحاكم، عن ابن عباس قال: « عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، سَمِعَ نَقِيضًا(٤) مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: "هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ».(٥)

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٢٣٠)

(٢) الطبقات الكبرى ط العلمية (١/ ١٥٠)

(٣) فتح الباري لابن حجر (١/ ٢٧)

(٤) النقيض: الصوت. ونقيض المحامل: صوتها. ونقيض السقف: تحريك خشبه. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٠٧)

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٥٥٤) حديث (٨٠٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة، وخواتيم سورة البقرة، والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة، واخرجه غيره.

قال جماعة من العلماء: هذا الملك هو إسرافيل.

وأخرج الطبراني عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لقد هبط علي ملك من السماء ما هبط على نبي قبلي، ولا يهبط على أحد بعدي، وهو إسرافيل فقال: أنا رسول ربك إليك، أمرني أخبرك إن شئت نبيا عبدا وإن شئت نبيا ملكا، فنظرت إلى جبريل، فأومأ إلي أن تواضع، فلو أني قلت نبيا ملكا لسارت الجبال معي ذهبا».(١)

وهاتان القضيتان بعد ابتداء الوحي بسنين كما يعرف من سائر طرق الأحاديث، وهما ظاهران في أن إسرافيل لم ينزل إليه قبل ذلك، فكيف يصح قول الشعبي أنه أتاه في ابتداء الوحي؟

ثم ذكر الإمام السيوطي عدة آثار تدل على أن جبريل هو الملك الموكل بالوحي ثم عقب عليها بقوله: فعرف بمجموع هذه الآثار اختصاص جبريل من بين سائر الملائكة بالوحي إلى الأنبياء.(٢)

وعدد الإمام الصالحي التنبيهات إلى أن قال:

التاسع: ما ذكره ابن إسحاق من سبب نزول سورة الضحى رواه الطبراني من طريق العوفي، وهو ضعيف، عن ابن عباس. ومن طريق إسماعيل مولى آل الزبير ذكره سليمان التّيمي في السيرة التي جمعها.

قال الحافظ(٣): وكل هذه الروايات لا تثبت بحال، ويخالفها ما رواه الشيخان في سبب نزولها عن جندب بن سفيان البجلي ﷺ أن رسول الله ﷺ اشتكى فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فجاءت امرأة فقالت: يا محمد إني لأرجو

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٤٨) حديث (١٣٣٠٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٢٥٦) وقال: هذا حديث غريب من حديث أبي حازم عن ابن عمر، تفرد به أيوب بن نهيك وأبو حازم مختلف فيه، فقيل: سلمة بن دينار وقيل: محمد بن قيس المدني. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٩) وقال: رواه الطبراني، وفيه يحيى بن عبد الله البابلتي، وهو ضعيف.

(٢) الحاوي للفتاوي للسيوطي (٢/ ٢٠٣ – ٢٠٥) باختصار.

(٣) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٧١٠)

أن يكون شيطانك قد تركك، لم يقربك منذ ليلتين أو ثلاث، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾[١] إلى آخر السورة. [٢]

قال الحافظ – رحمه الله تعالى–[٣]: والحق أن الفترة التي في سبب نزول سورة الضحى غير الفترة المذكورة في ابتداء الوحي، فإنها دامت أياما، وهذه لم تكن إلا ليلتين أو ثلاثا، فاختلطتا على بعض الرواة. وتحقيق الأمر ما بينته.

وذكر الحافظ ابن كثير[٤] نحوه.

قال الحافظ[٥]: ووقع في السيرة لابن إسحاق في سبب نزولها شيء آخر، فإنه ذكر أن المشركين لما سألوا رسول الله ﷺ عن ذي القرنين وغيره ووعدهم بالجواب ولم يستثن، فأبطأ عليه جبريل اثنتي عشر ليلة، فضاق صدره وتكلّم المشركون فنزل جبريل بسورة الضحى وبجواب ما سألوا.

قال الحافظ[٦]: ونزول سورة الضحى هنا بعيد، لكن يجوز أن يكون الزمان في القصتين متقاربا، فضمّ بعض الرواة إحدى القصتين إلى الأخرى، وكلّ منهما لم يكن في ابتداء المبعث، وإنما كان بعده بمدة.

وعند الطبراني بإسناد فيه من لا يعرف أن سبب إبطاء جبريل كون جرو كلب تحت سريره ﷺ لم يشعر به، فأبطأ عنه جبريل كذلك. [٧]

---

(١) سورة الضحى، الآية: ١

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ١٧٢) حديث (٤٩٥٠) كتاب التفسير، باب ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾، ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٢٢) حديث (١٧٩٧) كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، وأخرجه غيرهما.

(٣) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٧١٠)

(٤) البداية والنهاية (٤/ ٤١)

(٥) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٧١٠)

(٦) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٧١٠)

(٧) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٣/ ٤٣٠، ٤٣١) حديث (١٠٤٦، ١٠٤٧)

وقضية إبطاء جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة، لكن كونها سبب نزول هذه السورة شاذ مردود بما في الصحيح، وكلّ ما خالفه فغير ثابت.

العاشر: قال الإسماعيليّ[1]: كان من مقدّمات تأسيس النبوة فترة الوحي ليتدرّج فيه ويتمرّن عليه، فشق عليه فتوره إذا لم يكن خوطب عن الله تعالى بعد: أنك رسول الله ومبعوث إلى العباد، فأشفق أن يكون ذلك أمرا بدئ به ثم لم يرد استتمامه، فحزن لذلك، حتى إذا اندرج على احتمال أعباء النبوة والصبر على ثقل ما يرد عليه فتح الله له من أمره بما فتح. [2]

قلت: يتضح مما سبق أن فترة الوحي عبارة عن تأخرّه مدة من الزمان، وليس المراد بفترته عدم مجيء جبريل إليه، بل تأخر نزول الوحي فقط.

ومن ذلك نعلم أن فترة الوحي لا تعني انقطاعه عن النبي ﷺ وإنما تأخر مجيئه فقط.

وأن الحكمة في فترة الوحي: ليذهب عنه ما كان يجده ﷺ من الرّوع، وليحصل له التشوق إلى العود. وأن هذه الفترة كانت من مقدمات تأسيس النبوة؛ ليتدرج فيه ويمرن عليه. وقد شق عليه فتوره إذ لم يكن خوطب عن الله بعد: أنك رسول من الله ومبعوث إلى عباده فأشفق أن يكون ذلك أمر بدئ به ثم لم يرد استفهامه، فحزن لذلك حتى إذا تدرج على احتمال أعباء النبوة والصبر على ثقل ما يرد عليه فتح الله له من أمره بما فتح. [3]

وفي هذه الفترة أيضا: دلالة على أن التنزيل القرآني مصحوب بإنمحاء إرادته الشخصية ﷺ ، وانسلاخه من الطبيعة البشرية، حتى ما

(١) يراجع: فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٣٦٠)
(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٢٥٢ – ٢٧٦)
(٣) فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٣٦٠)

بقي له – عليه الصلاة والسلام– اختيار فيما ينزل إليه أو ينقطع عنه، فقد يتتابع الوحي ويحمى حتى يكثر عليه، وقد يفتر عنه أحوج ما يكون إليه! (١)

وأن العلماء قد اختلفوا في مقدار مدة الفترة، فقيل: سنتين ونصف سنة. وقيل: أربعين يوما، وقيل: خمسة عشر يوما. وقيل: ثلاثة أيام. وحكى الإمام الصالحي ترجيح ابن حجر لهذا القول الأخير؛ لأنه الأشبه بحاله عند ربه.

وهكذا نجد أن الإمام الصالحي قد حقق المسائل المتعلقة بكيفية إنزال القرآن الكريم تحقيقا جيدا وأفاض في الحديث عنها من خلال كتابه "سبل الهدى والرشاد" كما لو أنه يتكلم عنها في مصنف من مصنفات علوم القرآن.

*****

(١) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (ص: ٣٦)

المبحث الثاني: أول ما نزل من القرآن الكريم، وآخر ما نزل منه.

المطلب الأول: أول ما نزل من القرآن الكريم.

اهتم الإمام الصالحي بالحديث عن أول ما نزل من القرآن الكريم، وحقق القول الراجح من ذلك، كما تحدث عن بعض الأوائل المخصوصة من القرآن الكريم، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

قال الإمام الصالحي: هذا القدر الذي ذكر من سورة اقرأ هو الذي نزل أولا، بخلاف بقية السورة، فإنما نزل بعد ذلك بزمان.

والحكمة في هذه الأولية: أن هذه الآيات الخمس اشتملت على مقاصد القرآن، ففيها براعة الاستهلال وهي جديرة أن تسمى عنوان القرآن؛ لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله، وهذا بخلاف الفن البديعي المسمى بالعنوان، فإنهم عرفوه بأن يأخذ المتكلم في فن فيؤكده بذكر مثال سابق.

وبيان كونها اشتملت على مقاصد القرآن: أنها تنحصر في علم التوحيد والأحكام والأخبار، وقد اشتملت على الأمر بالقراءة والبداءة فيها باسم الله، وفي هذا الإشارة إلى الأحكام. وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته من صفات ذات وصفات فعل، وفي هذا إشارة إلى أصول الدين، وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. (١)

وقال السهيلي(٢): قيل للنبي ﷺ : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾(٣) فإنك لا تقرأ بحولك وقوتك ولا بصفة نفسك ولا بمعرفتك، ولكن اقرأ مفتتحا قراءتك باسم ربك، مستعينا في جميع أمورك به، فهو يعلمك كما خلقك وكما نزع عنك

(١) سورة العلق، الآية: ٥
(٢) الروض الأنف ت السلامي (٢/ ٢٥٩)
(٣) سورة العلق، من الآية: ١

علق الدم، وعلمك ما لم تكن تعلم من أمور الدين ومصالح العباد وما تنطق به من المغيبات.

قال الحافظ[١]: ذكر أكثر الأئمة أن هذا القدر المذكور في القصة من سورة اقرأ أول ما نزل من القرآن. وشذ صاحب الكشاف[٢] فقال: إن أكثر المفسرين على أن أول سورة نزلت الفاتحة. وهذا وهم بلا شك. وقال في موضع آخر: المحفوظ أن أول ما نزل: اقرأ باسم ربك وأن نزول الفاتحة كان بعد ذلك. وقال النووي[٣]: "أول ما نزل من القرآن: اقرأ. هذا هو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف، وقيل أوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾[٤] وليس بشيء". [٥]

وذكر الإمام الصالحي في موضع آخر: أن أول ما نزل: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾[٦]، قال: ثم حصلت الفترة ثم نزل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾، ثم حمي الوحي بعد هذا وتتابع.

ثم قال: عن يحيى بن أبي كثير، قال: سالت أبا سلمة بن عبد الرحمن: أيّ القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ فقلت: أنبئت أنه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ فقال جابر: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : «جاورت في حراء فلما قضيت جواري هبطت فنوديت» ...إلخ. [٧]

---

(١) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ٧١٤)

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٧٧٥)

(٣) شرح النووي على مسلم (٢/ ١٩٩)

(٤) سورة المدثر، الآية: ١

(٥) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٢٤٠، ٢٤١)

(٦) سورة العلق، الآية: ١

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ١٦٢) حديث (٤٩٢٤) كتاب التفسير ، باب ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾، وأخرجه غيره.

ثم نقل قول الحافظ[١]: **رواية الزّهري تدل على أن المراد بالأوّلية في قوله: "أول ما نزل سورة المدثر" أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي، أو مخصوصة بالإنذار، لا أن المراد بها أوّلية مطلقة....**

إلى أن قال الحافظ أيضا: فكأن من قال: أول ما نزل: ﴿اقْرَأْ﴾ أراد أولية مطلقة، ومن قال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ أراد بقيد التصريح بالإرسال.....

وقال عطاء الخراساني: إن سورة المزمل نزلت قبل سورة المدثر. قال الحافظ[٢]: عطاء ضعيف وروايته معضلة. وظاهر الأحاديث الصحيحة تأخر المزمّل؛ لأن فيها ذكر قيام الليل وغير ذلك مما تراخى عند ابتداء الوحي، بخلاف المدثر فإن فيها ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾[٣].

وقال في موضع آخر[٤]: يعرف من اتحاد الحديثين في نزول ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ عقيب

قوله: «**دثّروني**» و «**زمّلوني**» أن المراد بزملوني دثروني، ولا يؤخذ من ذلك نزول ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾[٥] حينئذ؛ لأن نزول ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ تأخر عن نزول ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ بالاتفاق؛ لأن أول ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ الأمر بالإنذار، وذلك أول ما بعث، وأول المزمّل الأمر بقيام الليل وترتيل القرآن، فيقتضي تقدم نزول كثير من القرآن قبل ذلك.

وهذا القدر الذي نزل من المدثر فيه محصّل ما يتعلق بالرسالة....[٦] بالرسالة....[٦]

وقال الإمام الصالحي في موضع آخر: قال العلماء: أول ما أوحى إليه ربه تبارك وتعالى أن يقرأ باسم ربه الذي خلق، وذلك أول نبوّته، فأمره

(١) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ٦٧٨)
(٢) ينظر: المرجع السابق.
(٣) سورة المدثر، الآية: ٢
(٤) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ٧٢٢)
(٥) سورة المزمل، الآية: ١
(٦) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٢٧٣ – ٢٧٥) باختصار.

أن يقرأ في نفسه ولم يأمره إذ ذاك بتبليغ، ثم أنزل عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾[١] فبدأه بقوله: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾. وأرسله بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ ، ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين، ثم إنذار قومه، ثم إنذار من حولهم من العرب قاطبة، ثم إنذار من بلغته الدعوة من الجن والإنس إلى آخر الدهر. [٢]

قلت: ورد في أول ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق أقوال أربعة:

أولها: أنه صدر سورة العلق.

القول الثاني: أن أول ما نزل إطلاقا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾.

القول الثالث: أن أول ما نزل هو سورة الفاتحة.

القول الرابع: أن أول ما نزل هو ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

إلى غير ذلك من الأقوال غير المشهورة. [٣]

قلت: لكل قول من هذه الأقوال أدلته، وقد ذكر الإمام الصالحي بعض هذه الأدلة، وتبين من خلالها رجحان القول الأول، **وما اختاره الإمام الصالحي من أن أول ما نزل من القرآن مطلقا هو صدر سورة العلق هو القول الصحيح المعتمد لدى العلماء.** [٤]

<u>ومما ذكره الإمام الصالحي من الأوائل المخصوصة (سورة النجم) حيث قال:</u> وهي أول سورة[٥] **أعلن رسول الله ﷺ بقراءتها في الحرم.** روى الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود قال: **أول سورة نزلت فيها سجدة:**

---

(١) سورة المدثر، الآيتان: ١، ٢

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٤/ ٣)

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٩٣ – ٩٦) باختصار.

(٤) يراجع: البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٠٦)، الإتقان في علوم القرآن (١/ ٩١)، معترك الأقران (١/ ٦١)، مناهل العرفان (١/ ٩٣)، المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: ١١٠)، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٦٥)، دراسات في علوم القرآن – محمد بكر إسماعيل (ص: ٣٥)، مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن (ص: ١٧٩)، الواضح في علوم القرآن (ص: ٥٣ – ٥٥)

(٥) يعني سورة النجم.

النجم، فسجد رسول الله ﷺ، وسجد الناس كلهم إلا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه، فرأيته قتل كافرا وهو أمية بن خلف[١].[٢]

قلت: وكون سورة النجم هي (أول سورة أعلن رسول الله ﷺ بقراءتها في الحرم) نص عليه غير واحد من المفسرين.[٣]

كما تحدث الإمام الصالحي عن أول آية نزلت في القتال فقال: روى الإمام أحمد، والترمذي وحسنه، والنسائي، وابن ماجة، وابن حبان، عن ابن عباس[٤]، وابن أبي شيبة وعبد بن حميد والبيهقي عن مجاهد[٥]، وابن وابن عائذ وعبد الرزاق وابن المنذر عن الزهريّ[٦]، والبيهقيّ عن السدّيّ[٧] السدّيّ[٧] **أن أول آية نزلت في القتال قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٧٥) حديث (٣٩٧٢) كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، (٦/ ١٤٢) حديث (٤٨٦٣) كتاب التفسير، باب ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾ ، ومسلم في صحيحه (١/ ٤٠٥) حديث (٥٧٦) كتاب المساجد، باب سجود التلاوة، وأخرجه غيرهما.

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣/ ٢٣) باختصار.

(٣) يراجع: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ١٩٥)، البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٩)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٥/ ٣٢١)، روح البيان (٩/ ٢٠٨)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٥/ ٤٩٩)، روح المعاني (١٤/ ٤٤)، تفسير المراغي (٢٧/ ٤١)

وأخرجه ابن مردويه عن ابن مسعود ﷺ كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٧/ ٦٣٩)

(٤) أخرجه عن ابن عباس: أحمد في مسنده (٣/ ٣٥٨) حديث (١٨٦٥)، والنسائي في سننه (٦/ ٢) حديث (٣٠٨٥) كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد، ، وفي السنن الكبرى (٤/ ٢٦٤) حديث (٤٢٧٨)، كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد، وابن حبان في صحيحه (١١/ ٨) حديث (٤٧١٠)، كتاب السير، باب فرض الجهاد، ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن فرض الجهاد كان بعد قدوم النبي ﷺ المدينة، والحاكم في المستدرك (٢/ ٧٦) حديث (٢٣٧٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقرَّه الذهبي. وأخرجه غيرهم.

(٥) أخرجه عن مجاهد: البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٥٧٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٩٦)

(٦) أخرجه عن الزهري: عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ٣٨٤) حديث (٩٧٤٣)، والنسائي في السنن السنن الكبرى (١٠/ ١٩٢) حديث (١١٢٨٣) كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾.

(٧) أخرجه عن السدي: البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٥٨٠)

﴿ظُلِمُوا﴾[١]. [٢]

قلت: ورد هذا القول أيضا عن أبي بكر الصديق[٣] وأبي هريرة[٤] وعروة بن الزبير[٥] وسعيد بن جبير[٦] والأعمش[٧] وقتادة[٨].

وقد صرح جمع من المفسرين بكون هذه الآية أول آية نزلت في القتال. [٩]

وذهب آخرون إلى أن أول آية نزلت في القتال هي قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾[١٠]. [١١]

ورجح ابن كثير الرأي الأول فقال: وهو الأشهر، وبه ورد الحديث.[١٢] ورجحه ابن العربي بأن آية الإذن في القتال مكية، وهذه الآية

---

(١) سورة الحج، من الآية: ٣٩

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٤/ ٥)

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٣٤٧)، البحر المحيط في التفسير (٢/ ٢٤١)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٢٤)

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٦/ ٥٨)

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٩٦)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٦/ ٥٧)

(٦) معاني القرآن للنحاس (٤/ ٤١٦)، أحكام القرآن للجصاص (١/ ٣٢٠)

(٧) تفسير سفيان الثوري (ص: ٢١٤)

(٨) تفسير عبد الرزاق (٢/ ٤٠٨)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٨/ ٦٤٥)

(٩) يراجع: باهر البرهان في معانى مشكلات القرآن (٢/ ٩٥٨)، الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٦٨)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٧٣)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ١٠٨)، أحكام القرآن لابن العربي (١/ ١٤٤)، التحرير والتنوير (٢/ ٢٠٠)، بيان المعاني (٦/ ١٧٨)

(١٠) سورة البقرة، من الآية: ١٩٠

(١١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٩٦)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٢/ ٨٧)، الهداية الى بلوغ النهاية (١/ ٦٣٣)، التفسير الوسيط للواحدي (١/ ٢٩٢)، غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٢٠٣)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (١/ ٢٣٦)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٢٣٥)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ١٦٥)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ١٢١)، روح البيان (١/ ٣٠٦)

(١٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٢٤)

مدنية متأخرة.[١] واستظهره صاحب التفسير المنير.[٢]

وحاول بعض العلماء الجمع بين القولين فقال: "وجائز أن يكون ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أول آية نزلت في إباحة قتال من قاتلهم، والثانية في الإذن في القتال عامة لمن قاتلهم ومن لم يقاتلهم من المشركين".[٣]

قلت: هذا مسلك جيد في التوفيق بين القولين والجمع بينهما، ومع ذلك فيبدو لي رجحان القول الأول ؛ لنزول قوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ﴾ قبل قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾؛ لأن آية الإذن في القتال مكية، وهذه الآية مدنية متأخرة، ولأنها مقيدة بقتال من قاتل، والآية التي نحن بصددها أكثر إطلاقا منها، فمن هذه الحيثية يقال: إنها أول آية نزلت في القتال على الإطلاق.[٤]

ويقوي هذا الترجيح: أن هذا القول قال به كثير من السلف كابن عباس ومجاهد والضحاك وعروة بن الزبير وزيد بن أسلم ومقاتل وقتادة وغيرهم، ويؤيده أيضا ذكر هذه الآية بعد الوعد بالمدافعة والنصر.[٥]

أما ما ورد من أن أول آية نزلت في القتال: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾[٦] فلا يصح؛ لأن هذه الآية من سورة التوبة التي لم تكن نزلت بعد؛ لأنها متأخرة في النّزول عن ذلك كله.[٧]

*****

(١) أحكام القرآن لابن العربي (١/ ١٤٤)
(٢) التفسير المنير للزحيلي (١٧/ ٢٢٧)
(٣) أحكام القرآن للجصاص (١/ ٣٢٠)، أحكام القرآن للكيا الهراسي (١/ ٨٠)
(٤) بيان المعاني (٦/ ١٧٨) بتصرف واختصار.
(٥) تفسير آيات الأحكام للسايس (ص: ٥١٦)
(٦) سورة التوبة، من الآية: ١١١
(٧) بيان المعاني (٦/ ١٧٨)

المطلب الثاني: آخر ما نزل من القرآن الكريم.

كما اهتم الإمام الصالحي بالحديث عن أول ما نزل من القرآن الكريم اهتم أيضا بالحديث عن آخر ما نزل منه، فتحدث عن آخر سورة نزلت، وآخر آية نزلت من القرآن الكريم، على ما يلي:

قال الإمام الصالحي: عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: آخر سورة نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾[١]. [٢]

وروى الترمذي والحاكم عن ابن عمرو[٣] – رضي الله عنهما – قال: قال: آخر سورة نزلت سورة المائدة والفتح. [٤]

قال الشيخ في الإتقان[٥]: يعني: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾.

قال الحافظ[٦]: والجمع بينهما أن آخرية[٧] سورة النصر نزولها كاملة بخلاف براءة. [٨]

قال الإمام الصالحي: سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن، وآية الربا آخر ما نزل. [٩]

---

(١) سورة النصر، الآية: ١

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٣١٨) حديث (٣٠٢٤) كتاب التفسير، وأخرجه غيره.

(٣) في النسخة المطبوعة من سبل الهدى والرشاد: "ابن عمر"، والصواب "عبد الله بن عمرو" عمرو" كما في سنن الترمذي والمستدرك للحاكم. ويبدو أنه خطأ من المحقق.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه – واللفظ له – (٥/ ٢٦١) حيث (٣٠٦٣) كتاب تفسير القرآن، القرآن، باب ومن سورة المائدة، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٣٤٠) حديث (٣٢١١) كتاب التفسير، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

(٥) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٠٤)

(٦) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ٧٣٤)

(٧) في النسخة المطبوعة من سبل الهدى والرشاد: "والجمع بينهما أن آخر آية النصر"، والصواب ما ذكرته كما في فتح الباري. ويبدو أنه خطأ من المحقق.

(٨) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٦/ ٢٥٧)

(٩) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١٢/ ٦٢) بتصرف واختصار.

قال الإمام الصالحي: عن عمر ﷺ أنه قال: من آخر ما نزل آية الربا [١]. [٢]

قلت: اختلفت العلماء في آخر ما نزل من القرآن الكريم، على عدة أقوال:

الأول: أن آخر ما نزل قول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾[٣]. أخرجه أخرجه النسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس[٤]، وكذلك أخرج ابن أبي حاتم قال: آخر ما نزل من القرآن كله ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآية. [٥] وعاش النبي ﷺ بعد نزولها تسع ليال ثم مات لليلتين خلتا من ربيع الأول.

الثاني: أن آخر ما نزل هو قول الله تعالى في سورة البقرة أيضا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾[٦]. أخرجه البخاري عن ابن عباس[٧].

الثالث: أن آخر ما نزل آية الدين في سورة البقرة أيضا، وهي قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣١٢) حديث (٣٥٠)، وابن ماجه في سننه (٢/ ٧٦٤) حديث (٢٢٧٦) كتاب التجارات، باب التغليظ في الربا، وقال محمد فؤاد عبد الباقي في تعليقه عليه: إسناده صحيح ورجاله موثقون، إلا أن سعيدا وهو ابن عروبة اختلط بأخرة، كذا في الزوائد.

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٢٧٣ – ٢٧٥)

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨١

(٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٩) حديث (١٠٩٩١، ١٠٩٩٢) كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٥٥٤)

(٦) سورة البقرة، من الآية: ٢٧٨

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٣٣) حديث (٤٥٤٤) كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾

إلى قوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٢٨٢﴾[١] وهي أطول آية في القرآن. أخرج ابن جرير عن سعيد بن المسيب: أنه بلغه أن أحدث القرآن عهدا بالعرش آية الدين. [٢]

أخرج أبو عبيد في الفضائل عن ابن شهاب قال: آخر القرآن عهدا بالعرش آية الربا وآية الدين. [٣]

ويمكن الجمع بين هذه الأقوال الثلاثة بما قاله الإمام السيوطي ﷺ من أن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف؛ لأنها في قصة واحدة، فأخبر كل عن بعض ما نزل بأنه آخر، وذلك صحيح. [٤]

ولم يرتض أبو شهبة ما ذهب إليه الإمام السيوطي فقال: "ومقتضى هذا الجمع من الإمام السيوطي أن آية الدين آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق.

ولكني أقول: إن في النفس من هذا التوفيق شيئا، وما ذكره غير مسلم له، فقد سمعت آنفا قول الفاروق عمر – رضي الله عنه – في أن آية الربا من أواخر الآيات، لا آخرها؛ واستدلال السيوطي بأن الآيات الثلاث في قصة واحدة – غير مسلم فالآية الأولى في ترك ما بقي من الربا عند المدينين بعد نزول آية التحريم، والثانية في التذكير باليوم الآخر، وما فيه من جزاء، والثالثة في أحكام تتعلق بالدين، فكيف يقال إذا إنها في قصة واحدة!!

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ٢٨٢

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ٤١) وقال الشيخ شاكر في تعليقه عليه: هذا إسناد صحيح إلى ابن المسيب، ولكنه حديث ضعيف لإرساله، إذ لم يذكر ابن المسيب من حدثه به.

(٣) أخرجه أبو عبيد القاسم في فضائل القرآن (ص: ٣٦٩)

(٤) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٠٢)

وقد ذهب الحافظ ابن حجر في «الفتح»[١] إلى نحو ما ذكرت، ورجح أن آية﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا ﴾... هي الأليق بالختام". [٢]

وإلى نحو هذا ذهب الشيخ الزرقاني حيث قال: "ولكن النفس تستريح إلى أن آخر هذه الثلاثة نزولا هو قول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١ ﴾. وذلك لأمرين: **أحدهما:** ما تحمله هذه الآية في طياتها من الإشارة إلى ختام الوحي والدين، بسبب ما تحث عليه من الاستعداد ليوم المعاد وما تنوه به من الرجوع إلى الله واستيفاء الجزاء العادل من غير غبن ولا ظلم وذلك كله أنسب بالختام من آيات الأحكام المذكورة في سياقها. **ثانيهما:** التنصيص في رواية ابن أبي حاتم السابقة على أن النبي ﷺ عاش بعد نزولها تسع ليال فقط ولم تظفر الآيات الأخرى بنص مثله". [٣]

الرابع: أن آخر القرآن نزولا قول الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ ﴾ الآية[٤]. ودليل هذا القول ما أخرجه ابن مردويه من طريق مجاهد عن أم سلمة أنها قالت: آخر آية نزلت هذه الآية: ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم ﴾ إلى آخرها. [٥]

وذلك أنها قالت: يا رسول الله أرى الله يذكر الرجال ولا يذكر النساء فنزلت: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ ﴾[٦] ونزل ﴿ إِنَّ

(١) قال ابن حجر: والأول أرجح؛ لما في آية البقرة من الإشارة إلى معنى الوفاة المستلزمة لخاتمة النزول. (فتح الباري لابن حجر (٨/ ٢٠٥)

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: ١٢٠) باختصار.

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٩٧، ٩٨)

(٤) سورة آل عمران، من الآية: ١٩٥

(٥) أورده ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٩٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤١٢)، والشوكاني في فتح القدير (١/ ٤٧٤)

(٦) سورة النساء، من الآية: ٣٢

﴿ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ...﴾[١] ونزلت هذه الآية، فهي آخر الثلاثة نزولا، وآخر ما نزل بعد ما كان ينزل في الرجال خاصة.

قال الزرقاني: "ومن السهل رد الاستدلال بهذا الخبر على آخر ما نزل مطلقا، وذلك لما يصرح به الخبر نفسه من أن الآية المذكورة آخر الثلاثة نزولا وآخر ما نزل بالإضافة إلى ما ذكر فيه النساء، أي فهي آخر مقيد لا مطلق، وليس كلامنا فيه".[٢]

الخامس: أنه آية ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾[٣] واستدلوا بما أخرجه البخاري وغيره عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: هذه الآية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ هي آخر ما نزل وما نسخها شيء.[٤]

قال الزرقاني: "ولا يخفى عليك أن كلمة "وما نسخها شيء" تشير إلى أن المراد من كونها آخر ما نزل: أنها آخر ما نزل في حكم قتل المؤمن عمدا، لا آخر ما نزل مطلقا".[٥]

السادس: أن آخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾[٦] وهي خاتمة سورة النساء، وأن آخر سورة نزلت سورة براءة. واستند صاحب هذا الرأي إلى ما يرويه البخاري ومسلم عن البراء بن عازب أنه

---

(١) سورة الأحزاب، من الآية: ٣٥

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٩٨)

(٣) سورة النساء، من الآية: ٩٣

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٤٧) رقم (٤٥٩٠) كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾، وأخرجه غيره.

(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٩٩)

(٦) سورة النساء، من الآية: ١٧٦

قال: آخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ وآخر سورة نزلت براءة. (١)

ويمكن نقض هذا الاستدلال بحمل الخبر المذكور على أن الآية آخر ما نزل في المواريث، وأن السورة آخر ما نزل في شأن تشريع القتال والجهاد، فكلاهما آخر إضافي لا حقيقي. (٢)

السابع: أن آخر ما نزل سورة المائدة. واحتج صاحب هذا القول برواية للترمذي والحاكم في ذلك عن عائشة رضي الله عنها.

ويمكن رده بأن المراد أنها آخر سورة نزلت في الحلال والحرام، فلم تنسخ فيها أحكام. وعليه فهي آخر مقيد كذلك. (٣)

الثامن: أن آخر ما نزل هو خاتمة سورة براءة: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾(٤) إلى آخر السورة. رواه الحاكم وابن مردويه عن أبي بن كعب. (٥)

ويمكن نقضه بأنها آخر ما نزل من سورة براءة، لا آخر مطلق. ويؤيده ما قيل من أن هاتين الآيتين مكيتان بخلاف سائر السورة. ولعل قوله سبحانه: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ﴾(٦) الخ يشير إلى ذلك من حيث عدم الأمر فيه بالجهاد عند تولي الأعداء وإعراضهم. (٧)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٥٠) حديث (٤٦٠٥) كتاب تفسير القرآن، باب ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾، ومسلم في صحيحه (٣/ ١٢٣٦) حديث (١٦١٨) كتاب الفرائض، باب آخر آية أنزلت آية الكلالة، وأخرجه غيرهما.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٩٩)

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٩٩)

(٤) سورة التوبة، من الآية: ١٢٨

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٦٨) حديث (٣٢٩٦) كتاب التفسير، تفسير سورة التوبة، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبي، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٣١)، والشوكاني في فتح القدير (٢/ ٤٧٨)

(٦) سورة التوبة، من الآية: ١٢٩

(٧) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٩٩)

التاسع: أن آخر ما نزل هو آخر سورة الكهف: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾[١] أخرجه ابن جرير عن معاوية بن أبي سفيان. [٢]

قال ابن كثير: "وهذا أثر مشكل، فإن هذه الآية هي آخر سورة الكهف. والكهف كلها مكية، ولعل معاوية أراد أنه لم ينزل بعدها ما ينسخها ولا يغير حكمها ، بل هي مثبتة محكمة، فاشتبه ذلك على بعض الرواة، فروى بالمعنى على ما فهمه، والله أعلم". [٣] وهو يفيد أنها آخر مقيد لا مطلق. [٤]

العاشر: أن آخر ما نزل هو سورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾[٥] رواه مسلم عن ابن عباس. [٦]

قال الزرقاني: "ولكنك تستطيع أن تحمل هذا الخبر على أن هذه السورة آخر ما نزل مشعرا بوفاة النبي ﷺ. ويؤيده ما روي من أنه ﷺ قال حين نزلت: «**نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي**»[٧].

ويحتمل أيضا أنها آخر ما نزل من السور فقط. ويدل عليه رواية ابن عباس: آخر سورة نزلت من القرآن جميعا: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾[٨]". [٩]

---

(١) سورة الكهف، من الآية: ١١٠
(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨/ ١٣٦)
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٢٠٩)
(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ١٠٠)
(٥) سورة النصر، الآية: ١
(٦) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٣١٨) حديث (٣٠٢٤) كتاب التفسير، وأخرجه غيره.
(٧) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٤٣٥) حديث (١٨٧٣) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وأخرجه الدارمي في سننه (١/ ٢١٦) حديث (٨٠) باب وفاة النبي ﷺ ، والطبراني في المعجم الأوسط (١/ ٢٧١) حديث (٨٨٣) ، وفي المعجم الكبير (١١/ ٣٣٠) حديث (١١٩٠٧) ، وأخرجه غيرهم.
(٨) أخرج مسلم في صحيحه (٤/ ٢٣١٨) حديث (٣٠٢٤) كتاب التفسير، وأخرجه غيره.
(٩) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ١٠٠) باختصار.

ثم قال الزرقاني: "تلك أقوال عشرة عرفتها وعرفت توجيهها ورأيت أن الذي تستريح إليه النفس منها هو أن آخر القرآن نزولا على الإطلاق قول الله في سورة البقرة: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾[1] وأن ما سواها أواخر إضافية أو مقيدة بما علمت". [2]

وذهب القاضي أبو بكر في الانتصار مذهبا آخر إذ يقول: "هذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوع إلى النبي ﷺ ، وكلٌ قال بضرب من الاجتهاد وغلبة الظن، ويحتمل أن كلا منهم أخبر عن آخر ما سمعه من النبي ﷺ في اليوم الذي مات فيه أو قبل مرضه بقليل وغيره سمع منه بعد ذلك وإن لم يسمعه هو".[3]

وإلى نحو هذا ذهب الإمام البيهقي حيث قال: "هذا الاختلاف يرجع- والله أعلم- إلى أن كل واحد منهم أخبر بما عنده من العلم، أو أراد أن ما ذكر من أواخر الآيات التي نزلت".[4]

وكأنه يشير إلى الجمع بين تلك الأقوال المتشعبة بأنها أواخر مقيدة بما سمع كل منهم من النبي ﷺ ، وهي طريقة مريحة غير أنها لا تلقي ضوءً على ما عسى أن يكون قد اختتم الله به كتابه الكريم. [5]

وعليه فالراجح ما ذكرناه من أن آخر القرآن نزولا على الإطلاق هو قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾[6] وأن ما سواه أواخر إضافية أو مقيدة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨١
(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ١٠٠) باختصار.
(٣) الانتصار للقرآن للباقلاني (١/ ٢٤٥، ٢٤٦)
(٤) دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ١٣٩)
(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ١٠٠) باختصار.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٨١

المبحث الثالث: نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف.

تحدث الإمام الصالحي عن قضية نزول القرآن على سبعة أحرف، وذكر الأحاديث الدالة على ذلك، فقال:

روى الشيخان عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال: «**أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف**».(١)

وروى الحاكم والبيهقي عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد على حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف، زجر وأمر وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه وأمثال ...** » (٢). (٣)

ثم قال الإمام الصالحي: ليس المراد بالسبعة الأحرف سبع قراءات، فإن ذلك– كما قال أبو شامة(٤)– خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، وإنما

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ١٨٤) حديث (٤٩٩١) كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ومسلم في صحيحه (١/ ٥٦١) حديث (٨١٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، وأخرجه غيرهما.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣/ ٢٠) حديث (٧٤٥) كتاب الرقاق، باب قراءة القرآن، ذكر الإخبار عن وصف البعض الآخر لقصد النعت في الخبر الذي ذكرناه، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ حديث (٨٢٩٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٣٩) حديث (٢٠٣١) كتاب فضائل القرآن، (٢/ ٣١٧) حديث (٣١٤٤) كتاب التفسير، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وخالفه الذهبي فقال: منقطع.

وقال ابن عبد البر: هذا حديث لا يثبت؛ لأنّه من رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ابن مسعود ولم يلق ابن مسعود، وقد ردّه قوم من أهل النظر منهم أبو جعفر أحمد بن أبي عمران.

وقد صحح الحديث المذكور ابن حبان والحاكم، وفي تصحيحه نظر؛ لانقطاعه بين أبي سلمة وابن مسعود. (أنيس الساري تخريج أحاديث فتح الباري (٦/ ٣٨٦٧)

(٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١٠/ ٢٨٨)

(٤) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز (١/ ١٠٣)

يظن ذلك بعض أهل الجهل، **بل المراد سبعة أوجه من المعاني المتفقة بألفاظ مختلفة** نحو: «أقبل» و«تعال» و«هلم» و«أسرع»، وإلى هذا ذهب ابن عيينة وابن جرير[١] وابن وهب وخلائق، ونسبه أبو عمرو[٢] لأكثر العلماء.

وقيل المراد: سبع لغات، وإلى هذا ذهب أبو عبيد[٣] وثعلب[٤] والأزهري[٥] وآخرون، واختاره ابن عطية[٦]، وصححه البيهقي في الشعب[٧]. **وتعقب** بأن لغات العرب أكثر من سبعة، **وأجيب** بأن المراد أفصحها.

قال أبو عبيد[٨]: ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات، بل اللغات السبع مفرقة فيه، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن وغيرهم. قال: وبعض اللغات أسعد بها من بعض، وأكثر نصيبا.

قال البيهقي[٩]: والمراد بالسبعة الأحرف في حديث ابن مسعود ﷺ الأنواع التي نزل عليها، والمراد بها في تلك الأحاديث: اللغات التي يقرأ بها.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١/ ٥٧)
(٢) الاستذكار لابن عبد البر (٢/ ٤٨٢)
(٣) غريب الحديث للقاسم بن سلام (٣/ ١٥٩)
(٤) التكملة والذيل والصلة للصغاني (٤/ ٤٥٠)
(٥) تهذيب اللغة (٥/ ١١)
(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٤٣ – ٤٨)
(٧) شعب الإيمان للبيهقي (٣/ ٥٣٦)
(٨) غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (٣/ ١٥٩)
(٩) شعب الإيمان للبيهقي (٣/ ٥٣٦)

وقال غيره: مَنْ أَوَّلَ الأحرف السبعة بهذا فهو تأويل فاسد؛ لأنه محال أن يكون الحرف منها حراما لا ما سواه أو حلالا لا ما سواه، ولأنه لا يجوز أن يكون القرآن على أنه حلال كله أو حرام كله أو أمثال كله.

وقال ابن عطية[١]: هذا القول ضعيف؛ لأن الإجماع على أن التوسعة لم تقع في تحليل حلال، ولا في تحريم حرام، ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة.

وقال أبو علي الأهوازي وأبو العلاء الهمداني[٢]: أشهد أن قوله في الحديث «زاجر وآمر» الخ استئناف كلام آخر، أي هو زاجر أي القرآن، ولم يرد به تفسير الأحرف السبعة، وإنما توهم ذلك من جهة الاتفاق في العدد، ويؤيده أن في بعض طرقه «زاجرا وآمرا» بالنصب، أي نزل على هذه الصفة في الأبواب السبعة.

وقال أبو شامة[٣]: يحتمل أن يكون التفسير المذكور للأبواب لا للأحرف، أي هي سبعة أبواب من أبواب الكلام وأقسامه، أي أنزله الله على هذه الأصناف لم يقتصره منها على صنف واحد كغيره من الكتب، وفي هذه المسألة نحو أربعين قولا سردها الشيخ في الإتقان في النوع السادس عشر. [٤]

قلت: ذكر الإمام الصالحي بعض الأقوال الواردة في تفسير الأحرف السبعة، ولم يرجح منها قولا.

والذي يبدو لي رجحانه: أن المراد بالأحرف السبعة: سبعة أوجه من المعاني المتفقة بألفاظ مختلفة، وإن شئت فقل: سبع لغات من لغات العرب المشهورة في كلمة واحدة، تختلف فيها الألفاظ والمباني مع اتفاق

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٤٣)
(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٧١)
(٣) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز (١/ ١٠٩)
(٤) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١٠/ ٢٨٨ – ٢٩٠) باختصار.

المعاني، أو تقاربها، وعدم اختلافها وتناقضها، وذلك مثل: هلم، وأقبل، وتعال، وإليّ، ونحوي، وقصدي، وقربي، فإن هذه ألفاظ سبعة مختلفة يعبر بها عن معنى واحد، وهو طلب الإقبال.

وليس معنى هذا أن كل كلمة كانت تقرأ بسبعة ألفاظ من سبع لغات، بل المراد: أن غاية ما ينتهي إليه الاختلاف في تأدية المعنى هو سبع، فالمعنى الذي تتفق فيه اللغات في التعبير عنه بلفظ واحد يعبر عنه بهذا اللفظ فحسب، والذي يختلف التعبير عنه بلفظين، وتدعو الضرورة إلى التوسعة يعبر عنه بلفظين، وهكذا إلى سبع.

وهذا الرأي يتفق مع الروايات الدالة على اختلاف الصحابة في كلمات من القرآن، وتنازعهم، ورفع الأمر إلى رسول الله ﷺ ، ثم إقراره ﷺ كلا على قراءته، **ويتوافق مع الغرض من نزول القرآن على سبعة أحرف،** وهو التيسير ورفع الحرج عن الأمة بالتوسعة في الألفاظ ما دام المعنى واحدا، فقد كانوا أمة أمية، وكانت لغاتهم متعددة، وكان يشق على كل ذي لغة أن يتحول إلى غيرها من اللغات، ولو رام ذلك لم يتهيأ له إلا بمشقة عظيمة، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان، وتغيير للعادة، فمن ثم جعل الله لهم متسعا في اللغات بقراءة المعنى الواحد بألفاظ مختلفة. (١)

*****

(١) لبيان رجحان هذا القول ودفع الشبهات الواردة حوله يراجع: المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: ١٧٦ – ١٨٥)

المبحث الرابع: المكي والمدني (مكان نزول القرآن الكريم وزمانه).

للعلماء في الفرق بين المكي والمدني ثلاثة آراء اصطلاحية، كل رأي منها بُنِيَ على اعتبار خاص.

الأول: اعتبار زمان النزول، فالمكي: ما نزل قبل الهجرة وإن كان بغير مكة، **والمدني:** ما نزل بعد الهجرة وإن كان بغير المدينة.

وهذا الرأي أولى من الرأيين بعده؛ لحصره واطراده.

الثاني: اعتبار مكان النزول، فالمكي: ما نزل بمكة وما جاورها كمِنى وعرفات والحديبية. **والمدني:** ما نزل بالمدينة وما جاورها.

الثالث: اعتبار المخاطَب، فالمكي: ما كان خطابًا لأهل مكة، **والمدني:** ما كان خطابًا لأهل المدينة. (١)

وللعلم بالمكي والمدني فوائد، منها:

١- تمييز الناسخ من المنسوخ، فإن المتأخر ناسخ للمتقدم.

٢- الاستعانة به في تفسير القرآن الكريم، فإن معرفة مكان النزول يعين على فهم المراد بالآية، ومعرفة مدلولاتها وما يرد فيها من إشارات أحيانا.

٣- معرفة تاريخ التشريع وتدرجه في التكليف، ويترتب على هذا الإيمان بأن هذا التدرج لا يكون إلا من عليم خبير.

٤- الاستفادة من أسلوب القرآن في الدعوة إلى الله تعالى، فهو أسلوب يشتد ويلين ويفصل ويجمل، ويعد ويتوعد، ويرغب ويرهب، ويوجز

(١) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٦١) باختصار، ويراجع: البرهان في علوم القرآن (١/ ١٨٧)، الإتقان في علوم القرآن (١/ ٣٧، ٣٨)

ويطنب حسب أحوال المخاطبين، وهذا من أسرار الإعجاز في القرآن الكريم.

٥- استخراج سيرة الرسول ﷺ، وذلك بمتابعة أحواله في مكة ومواقفه في الدعوة، ثم أحواله في المدينة وسيرته في الدعوة إلى الله فيها، واقتداء الدعاة بهذا المنهج النبوي الحكيم في الدعوة.

٦- بيان عناية المسلمين بالقرآن الكريم واهتمامهم به حتى إنهم لم يكتفوا بحفظ النص القرآني، بل تتبعوا مكان نزوله، ومعرفة ما نزل قبل الهجرة وما نزل بعدها، وما نزل بالليل وما نزل بالنهار، وما نزل في الصيف وما نزل في الشتاء، ويتبع هذا الاقتداء بهم في دراسة القرآن وعلومه. (١)

ولا سبيل إلى معرفة المكي والمدني إلا بما صَحَّ عن الصحابة والتابعين في ذلك؛ لأنه لم يرد عن النبي ﷺ بيان للمكي والمدني؛ وذلك لأن المسلمين في زمانه لم يكونوا في حاجة إلى هذا البيان، كيف وهم يشاهدون الوحي والتنزيل ويشهدون مكانه وزمانه وأسباب نزوله عيانا. (٢)

وإيمانا من الإمام الصالحي بأهمية معرفة المكي والمدني فقد تحدث عنه في مواطن عديدة من كتابه سبل الهدى والرشاد؛ حيث أورد جملة من الآيات والسور التي نص على كونها مكية أو مدنية، ومن ذلك ما يلي:

---

(١) دراسات في علوم القرآن – فهد الرومي (ص: ١٣٣، ١٣٤)، ويراجع: الواضح في علوم القرآن (ص: ٦٧)، مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ١٩٥)، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٥٨، ٥٩)، المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: ٢١٩)

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ١٩٦) بتصرف يسير، ويراجع: المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: ٢١٩)

– قال الإمام الصالحي: هذه السورة[١] مدنية بلا خلاف، والمراد بالمدني ما نزل بعد الهجرة ولو بمكة على المعتمد.[٢]

فالإمام الصالحي هنا يشير إلى التعريف الراجح للمدني، فيقرر أنه ما نزل بعد الهجرة ولو بمكة. وهذا هو التعريف الراجح عند المحققين من العلماء.

وسورة النصر "نزلت بمنى في حجة الوداع، فتعد مدنية"[٣]؛ لأنها نزلت بعد الهجرة. وكون سورة النصر مدنية نص عليه جمهور المفسرين.[٤]

وذكر الإجماع على كونها مدنية عدد منهم.[٥]

– قال الإمام الصالحي: وكلام ابن إسحاق يدل على أن هذه الآية[٦] مكّية.[٧]

---

(١) يعني سورة النصر.

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٦/ ٢٥٧)

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٨١٠)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٢٠)

(٤) يراجع على سبيل المثال: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٧٣)، تأويلات أهل السنة (١٠/ ٦٣٤)، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٥/ ١٧٠)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠/ ٣١٨)، الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٤٧٧)، التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٥٦٦)، تفسير السمعاني (٦/ ٢٩٦)، معالم التنزيل (٥/ ٣١٨)، الكشاف (٤/ ٨١٠)، مفاتيح الغيب (٣٢/ ٣٣٤)، مدارك التنزيل (٣/ ٦٨٩)، لباب التأويل (٤/ ٤٨٧)

(٥) يراجع: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٥٣٢)، زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٥٠١)، تفسير العز بن عبد السلام (٣/ ٥٠٠)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢٢٩)، تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ٦٣٩)، السراج المنير (٤/ ٦٠٠)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٦٢٣)، فتح البيان في مقاصد القرآن (١٥/ ٤٢٧)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٨٧)

(٦) يعني قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ (سورة الإسراء، الآية: ٨٥)

(٧) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٣٥٠)

وقال في موضع آخر: روى الإمام أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر وغيرهم عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ في حرث المدينة- وفي لفظ: حرث الأنصار، وفي لفظ: في نخل[1]- وهو متوكّئ على عسيب- وفي لفظ: ومعه جريدة، إذ مرّ اليهود- وفي لفظ: إذ مرّ بنفر من اليهود- فقال: بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه، لا يسمعكم ما تكرهون- وفي لفظ: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه. فقال بعضهم لبعض: لنسألنّه، فقام إليه رجل- وفي لفظ: فقاموا إليه فقالوا: «يا محمد» - وفي لفظ: «يا أبا القاسم ما الروح» ؟ - وفي لفظ: «فأخبرنا عن الروح، كيف تعذّب الروح الذي في الجسد؟ وإنما الروح من الله عز وجلّ» فسكت- وفي لفظ: فما زال متّكئا على العسيب، فعلمت أنه يوحى إليه، فتأخرت فلما نزل الوحي قال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[2].[3]

ثم قال: دلّ حديث ابن مسعود على أن نزول هذه الآية كان بالمدينة، وروى الإمام أحمد والترمذي وصحّحه، والنسائي وابن حبان عن ابن عباس قال: قالت قريش ليهود: أعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل. فقالوا: سلوه عن الروح. فنزلت: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى

(١) (في حرث) أي في مزرعة من مزارع المدينة ، وفي رواية: (في خرب المدينة) - بفتح أوله وكسر ثانيه، أو كسر أوله وفتح ثانيه -: جمع خربة، وهي الخرابة، والمراد منه: موضع خراب غير مسكون، وفي رواية: (في نخل)، وفي رواية (في حرث للأنصار)، فأفاد أن النخل والحرث كانا في موضع خرب بالمدينة المنورة. (فتح الباري لابن حجر (١/ ١١١)، الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (٢٥/ ٣٩٢)

(٢) سورة الإسراء، من الآية: ٨٥

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٣٧) حديث (١٢٥) كتاب العلم، باب قول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾، ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٥٢) حديث (٢٧٩٤) كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح، وأخرجه غيرهما.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾. قالوا: «أوتينا علما كثيرا. أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرا كثيرا» . فأنزل الله عز وجل ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩﴾[1]. [2] سند رجاله رجال صحيح مسلم.

وروى ابن إسحاق وابن جرير عن عطاء بن يسار قال: نزلت بمكة: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ ، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه أحبار يهود فقالوا: يا محمد، بلغنا أنك تقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ أفعنيتنا أم عنيت قومك؟ قال: «لا بل عنيتكم» . فقالوا: «إنك تتلو أنّا أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء» . فقال رسول الله ﷺ : «هي في علم الله قليل، وقد آتاكم الله ما إن عملتم به انتفعتم» ، وأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٧ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٢٨﴾[3]. [4]

ثم قال الإمام الصالحي: ودلّ حديث ابن عباس وأثر عطاء على أن الآية نزلت بمكة، وجمع بينهما وبين حديث ابن مسعود ﷺ بتعدد النزول، ويحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك إن ساغ ذلك، وإلا فما في الصحيح أصحّ.

وقال الشيخ – رحمه الله تعالى – في الإتقان[5]: «إذا استوى الإسنادان في الصحة فيرجح أحدهما بكون راويه حاضر القصة أو نحو

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٩

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٥٦) حديث (٢٣٠٩)، والترمذي في سننه (٥/ ١٥٥) حديث (٣١٤٠) كتاب التفسير، باب ومن سورة بني إسرائيل، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٧٩) حديث (٣٩٦١) كتاب تفسير القرآن، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبي، وأخرجه غيرهم.

(٣) سورة لقمان، الآيتان: ٢٧، ٢٨

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٥٤٤)، وابن إسحاق في السيرة (ص: ٢٠٤)

(٥) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٢٠)

ذلك من وجوه الترجيحات» ، ثم ذكر مثالا له حديث ابن مسعود وحديث ابن عباس المذكورين. ثم قال: «فهذا– أي حديث ابن عباس– يقتضي إن الآية نزلت بمكة، والحديث الأول خلافه» . وقد رجح بأن ما رواه البخاري أصح من غيره، وبأن ابن مسعود كان حاضر القصة. (١)

قلت: اختلف العلماء في هذه الآية هل هي مكية أو مدنية؟ على قولين:

أولهما: أن الآية مدنية، والضمير في ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ ﴾ لليهود. كما دل عليه حديث ابن مسعود ﷺ المتقدم.

والثاني: أن الآية مكية، والضمير لقريش، كما دل عليه حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – المتقدم.

فالظاهر من حديث ابن مسعود أن الآية مدنية، ومن سؤال قريش أنها مكية.(٢)

وذهب بعض العلماء إلى الجمع بين القولين حيث قالوا: يمكن الجمع بأن يتعدد النزول، وإلا فما في الصحيح أصح. قالوا: فإما أن نرجح رواية الشيخين على رواية غيرهما، وإما أن نقول: إن الآية نزلت مرتين، والله أعلم. (٣)

ورجح ابن كثير أن الآية مكية حيث قال معقبا على حديث ابن مسعود ﷺ : وهذا السياق يقتضي فيما يظهر بادي الرأي: أن هذه الآية مدنية، وأنها إنما نزلت حين سأله اليهود عن ذلك بالمدينة، مع أن السورة كلها مكية. **وقد يجاب عن هذا:** بأنه قد يكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك، أو أنه نزل عليه الوحي بأنه يجيبهم

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣/ ٣٨٦)

(٢) يراجع: البحر المحيط في التفسير (٧/ ١٠٦)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤٨١) بتصرف. ويراجع: الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٣/ ٤٩٤)

(٣) كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري (٤/ ١١٣)، الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (٢٥/ ٣٩٢)

عما سألوا بالآية المتقدم إنزالها عليه، وهي هذه الآية: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ ... ﴾ ومما يدل على نزول هذه الآية بمكة حديث ابن عباس وأثر عطاء المتقدمين. (١)

واستأنس القائلون بمكية الآية بما نص عليه بعض المفسرين من أن السورة بتمامها مكية هو قول الجمهور. (٢)

قلت: الذي يبدو لي رجحانه أن الآية مدنية؛ لأن حديث ابن مسعود أقوى من حديث ابن عباس في سبب نزول الآية الكريمة؛ لوروده في الصحيحين، ولكون ابن مسعود حضر القصة بنفسه.

وخلاصة ما احتج به القائلون بأن سبب نزول الآية حديث ابن عبَّاسٍ ما يلي:

١ – أن السورة كلها مكية، يعني أنها نزلت قبل سؤال اليهود.

٢ – أن سياق الضمائر في الآيات كانت في قريش، وهذا منها في قوله: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ ﴾.

وأجابوا عن حديث ابن مسعود بما يلي:

١ – أن الآية نزلت عليه في المدينة مرة ثانية.

٢ – أو نزل عليه الوحي بأن يجيبهم عما سألوه بالآية المتقدم إنزالها عليه.

والجواب عن ذلك كما يلي:

أما قولهم: إن السورة كلها مكية فهو قول لا يملكون لإثباته دليلاً صحيحاً صريحاً ألبتة، وإنما هي أقوال ظنية لبعض العلماء منشأها ومردها الاستنباط المحض والاجتهاد الخاص الخالي من الدليل.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ١١٤، ١١٥) بتصرف، ويراجع: تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن (٢/ ٤١٢)

(٢) كونها بتمامها مكية هو قول الجمهور. (يراجع: حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي (٥/ ٣٨٤)، محاسن التأويل (٦/ ٤٢٦)

فلا يستطيع أحد أن يقيم دليلاً على أن آيات السورة كلها مدنية أو مكية، نعم القول في بعضها ممكن؛ لوجود القرائن والدلائل عليه، أما الجميع فلا.

وحينئذٍ فقد تم الانفكاك من حجتهم الأولى.

أما الثانية: وهي قوله: إن مرجع ضمير ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ ﴾ هو مرجع الضمائر المتقدمة، أي أنها في قريش.

فالجواب أن يقال: إن أقرب ضمير يعود على قريش قبل هذه الآية بينه وبينها ثمانِ آيات، وهو قوله: ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾. (١)

ثم لو سلمنا بهذا: ألا يمكن أن يتنوع عود الضمائر بسبب تنوع القرائن كما هو كثير معروف عند العلماء حتى في الآية الواحدة؟ فما بالك بآيات منفصلات؟

بل لو قال قائل: إن الناظر المتأمل في الآية يجد أنه لا صلة لها بالسابق واللاحق لم يكن قوله بعيداً من الصواب.

وإذا أردنا المقارنة بين الحديثين تبين ما يلي:

١ – أن حديث ابن مسعود ﷺ صحيح الإسناد لا مطعن فيه بوجه من الوجوه، قد روي في أصح كتابين بعد كتاب الله – عَزَّ وَجَلَّ –، وليس الأمر كذلك في حديث ابن عبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – فكيف إذا كان حديث ابن عبَّاسٍ قد اختلف في وصله وإرساله.

٢ – أن ابن مسعود كان بصحبة رسول الله ﷺ زمن القصة، وليس الأمر كذلك بالنسبة لابن عبَّاسٍ، وقد قيل: ليس الشاهد كالغائب.

٣ – أن حديث ابن مسعود تضمن تفصيلاً خلا منه حديث ابن

(١) سورة الإسراء، من الآية: ٧٦

عبَّاسٍ وفيه: فقام ساعة ينظر، فعرفت أنه يُوحى إليه، فتأخرت عنه حتى صعد الوحى، والتفصيل دليل على الضبط والإتقان، والعلم التام بما حدث.

٤ – أن الآية لو نزلت بسبب حديث ابن عبَّاسٍ فلماذا يعيد اليهود السؤال عن ذلك بالمدينة مرة ثانية، لا سيما وأن اليهود قد علموا جواب الله للمشركين في مكة حسبما يدل عليه حديث ابن عبَّاسٍ ولهذا قالوا بعد نزول الآية: أُوتينا علماً كثيراً، أُوتينا التوراة.

وبهذا يظهر ويتبين أن سبب نزول الآية الكريمة هو حديث ابن مسعود لما تقدم.

بقي أن أجيب عن أدلتهم في الجمع بين السببين وخلاصتها:

أن الآية نزلت عليه في المدينة مرة ثانية، وهذا غريب، إذ ما الفائدة؟ وما الحكمة أن تنزل عليه الآية مرة ثانية، وهي محفوظة في صدره؟ مع أنه لا يوجد دليل يدل على تكرر النزول، والأصل عدمه.

ولو كانت الآية قد نزلت قبل ذلك لأجابهم بها حين سألوه عن الروح، ولم ينزل الوحي لذلك.

الثانية: أنه نزل عليه الوحي بأن يجيبهم عما سألوه بالآية المتقدم إنزالها عليه، وهذا أغرب من سابقه والأمر لا يخلو من حالين:

الأولى: أن النبي ﷺ يعلم أن قريشاً أخذوا السؤال من اليهود كما دلّ عليه حديث ابن عبَّاسٍ وحينئذٍ فالجواب للفريقين.

الثانية: أن النبي ﷺ لا يعلم أن قريشًا أخذوا السؤال من اليهود، وهذا بعيد لأن رسول الله ﷺ يعرف ما عند قومه من العلم، وما عند غيرهم من أهل الكتاب، ويعلم الصلات بين الطرفين حق العلم، وإذا كان كذلك فلماذا لم يتلو الآية على اليهود حين سألوه، واضطر لانتظار الوحي؟ وإذا كنا نقول بأن سبب النزول حديث ابن مسعود فإنه ينتفي الاحتمال ويرتفع

الإشكال. [١]

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن حديث ابن مسعود أقوى من حديث ابن عباس في سبب نزول الآية الكريمة؛ لوروده في الصحيحين ولكون ابن مسعود حضر القصة بنفسه، وبالتالي فالقول بأن الآية مدنية هو القول الراجح، والله أعلم.

وأحيانا يصرح الإمام الصالحي بالإجماع على كون السورة أو الآية مكية أو مدنية، كما في قوله: "**وسورة عبس مكّية** بلا خلاف". [٢]

وهذا الإجماع الذي نص عليه الإمام الصالحي ذكره جمع من المفسرين، كالأئمة: الماوردي[٣]، وابن عطية[٤]، وابن الجوزي[٥]، والقرطبي[٦]، والثعالبي[٧]، والشهاب الخفاجي[٨]، والآلوسي[٩]، والشوكاني[١٠]، وغيرهم.

وأحيانا يستدل الإمام الصالحي على صحة قول وبطلان غيره بكون الآية أو السورة مكية أو مدنية، كما في قوله – في نفس الموضع السابق –: من الغرائب قول القاضي أبي بكر بن العربي[١١]: قول علمائنا: إن الرجل المبهم الوليد بن المغيرة، وقال آخرون: إنه أمية بن خلف.

---

(١) المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (٢/ ٦٦٩ – ٦٧٣) بتصرف واختصار.
(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٤٢٤)
(٣) النكت والعيون (٦/ ٢٠٢)
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٤٣٦)
(٥) زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٣٥٨)
(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢١١)
(٧) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٥/ ٥٥١)
(٨) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي (٨/ ٣١٩)
(٩) روح المعاني (١٥/ ٢٤١)
(١٠) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٤٦٢)
(١١) أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٣٦٣)

والقياس على هذا كله باطل وجهل من المفسرين، وذلك أن أمية والوليد كانا بمكة وابن أم مكتوم كان بالمدينة وما حضر معهما ولا حضرا معه، وكان موتهما كافرين أحدهما قبل الهجرة والآخر في بدر، ولم يقصد قط أمية المدينة ولا حضر عنده مفردا ولا مع أحد، كذا نقله عنه تلميذه السّهيليّ والقرطبي وأقرّاه.

وهو كلام خرج من القاضي من غير رويّة لأن ابن أم مكتوم من أهل مكة بلا خلاف، وهو ابن خال خديجة أم المؤمنين، أسلم قديما وكان من المهاجرين الأولين، قدم المدينة قبل أن يهاجر النبي ﷺ . وقيل: بل بعده، وصحّحوا الأول، **وسورة عبس مكّية بلا خلاف،** فأي شيء يمنع من اجتماع ابن أم مكتوم والوليد أو أمية؟

ثم القائل لذلك إنما هو الصحابة والتابعون كما تقدم، نقل ذلك عنهم وهم أعلم من غيرهم، **ولو كانت سورة عبس نزلت بالمدينة أو أن ابن أم مكتوم أسلم بها لصح ما قاله، والحال أن الأمر بخلاف ذلك،** ولم أر من نبه على ذلك. (١)

فالإمام الصالحي هنا يستدل على إمكان اجتماع ابن أم مكتوم والوليد أو أمية بأن ابن أم مكتوم من أهل مكة بلا خلاف، وبكون سورة عبس التي نزلت فيه مكية بلا خلاف أيضًا.

قلت: حكى غير واحد من المفسرين الإجماع على مكية سورة عبس.(٢) ولم أر من ذكر خلافا في ذلك.

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٤٢٤)

(٢) ينظر: النكت والعيون (٦/ ٢٠٢)، المحرر الوجيز (٥/ ٤٣٦)، زاد المسير (٤/ ٣٩٩)، ٣٩٩)، الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢١١)، الجواهر الحسان (٥/ ٥٥١)، حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي (٨/ ٣١٩)، روح المعاني (١٥/ ٢٤١)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٤٦٢)، فتح البيان في مقاصد القرآن (١٥/ ٧٣)، التحرير والتنوير (٣٠/ ١٠١)

وأما قول الإمام الصالحي: "ولم أر من نبه على ذلك" فلعله – رحمه الله تعالى – لم يطلع على كلام أبي حيان في هذا الموضع؛ حيث قال: " قال القرطبي: وهذا كله غلط من المفسرين؛ لأن أمية والوليد كانا بمكة، وابن أم مكتوم كان بالمدينة ما حضر معهما، وماتا كافرين، أحدهما قبل الهجرة والآخر في بدر، ولم يقصد قط أمية المدينة، ولا حضر معه مفردا ولا مع أحد. انتهى. **والغلط من القرطبي،** كيف ينفي حضور ابن أم مكتوم معهما؟ وهو وهم منه، وكلهم من قريش، وكان ابن أم مكتوم بها. والسورة كلها مكية بالإجماع. وكيف يقول: وابن أم مكتوم بالمدينة؟

كان أولا بمكة، ثم هاجر إلى المدينة، وكانوا جميعهم بمكة حين نزول هذه الآية".[1]

– **وكما في قول الإمام الصالحي:** "وأما ما يروى في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾[2] من أن النبي ﷺ استغفر لأمه فنزلت الآية.[3] فرواه الحاكم عن ابن مسعود، وابن جرير من طريق عطية العوفي، والطبراني من طريق عكرمة، كلاهما عن ابن عباس، وابن مردويه عن بريدة قال: وفيه أن قبرها بمكة. قال الشيخ[4] رحمه الله تعالى: فأما حديث ابن مسعود وإن صححه الحاكم فقد تعقبه الذهبي في مختصره فقال: في سنده أيوب بن هانئ ضعفه ابن معين. فهذه علة تقدح في صحته. وله علة ثانية **وهي مخالفته لما في**

(١) البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٠٧)

(٢) سورة التوبة، من الآية: ١١٣

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٣٦٦) حديث (٣٢٩٢) كتاب التفسير، وقال: «صحيح على شرطهما ولم يخرجاه هكذا بهذه السياقة»، وخالفه الذهبي فقال: أيوب بن هانىء ضعفه ابن معين. وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٣٧٤) حديث (١٢٠٤٩)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٤/ ٥١٢)، وأخرجه غيرهما.

(٤) أي الإمام السيوطي.

صحيح البخاري وغيره أن هذه الآية نزلت بمكة عقب موت أبي طالب واستغفار النبي ﷺ له[(١)]. وأما حديث ابن عباس فله علتان: مخالفته للحديث الصحيح كما سبق، وضعف إسناده. وأما حديث بريدة فله علتان: إحداهما: المخالفة في سبب نزول الآية. والثانية: قال ابن سعد[(٢)] بعد تخريجه: هذا غلط وليس قبرها بمكة، وقبرها بالأبواء[(٣)].

قال الشيخ – رحمه الله تعالى –: وأصح هذه الطرق أن النبي ﷺ زار قبر أمه في أَلْفِ مُقَنَّعٍ[(٤)] فما رئي أكثر باكيا من ذلك اليوم.[(٥)] رواه الحاكم وصححه عن [بريدة].

---

(١) عَنِ ابْنِ المُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: «**أَيْ عَمِّ، قُلْ لاَ إِلَهَ إِلا اللَّهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ**» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَلَمْ يَزَالاَ يُكَلِّمَانِهِ، حَتَّى قَالَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ**» فَنَزَلَتْ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ..... ﴾ [التوبة: ١١٣]. وَنَزَلَتْ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾

(أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٩٥) حديث (١٣٦٠) كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، (٥/ ٥٢) حديث (٣٨٨٤) كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، (٦/ ٦٩) حديث (٤٦٧٥) كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾، (٦/ ١١٢) حديث (٤٧٧٢) كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾.)

(٢) الطبقات الكبرى (١/ ٩٤)

(٣)الأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة، بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا. وقيل: الأبواء جبل على يمين الطريق للمصعد إلى مكة من المدينة، وبالأبواء قبر آمنة بنت وهب أمّ النبي، ﷺ ، وكان السبب في دفنها هناك أن عبد الله والد رسول الله ﷺ كان قد خرج إلى المدينة يمتار تمرا، فمات بالمدينة، فكانت زوجته آمنة بنت وهب تخرج في كل عام إلى المدينة، تزور قبره، ثم خرجت زائرة لقبره، فماتت بالأبواء. (معجم البلدان (١/ ٧٩، ٨٠)

(٤) فِي أَلْفِ مُقَنَّعٍ، أَيْ: فِي أَلْفِ فَارِسٍ مُغَطًّى بِالسِّلاحِ. (شرح السنة للبغوي (٥/ ٤٦٣)

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٦٦١) حديث (٤١٩٢) كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبي، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١١/ ٤٦٩) حديث (٨٨٥٠)

وهذا القدر لا علة له، وليس فيه مخالفة لشيء من الأحاديث، ولا نهي عن الاستغفار، وقد يكون البكاء لمجرد الرقة التي تحصل عند زيارة الموتى من غير سبب تعذيب ونحوه. (١)

فمن خلال ما نقله عن الإمام السيوطي يستدل الإمام الصالحي هنا بمكية الآية على ضعف هذا القول الوارد في سبب نزولها.

– **وكما في قول الإمام الصالحي:** قال تعالى: ﴿ **لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ** ﴾(٢): قيل: المدينة وقيل: مكة، ورجّحه القاضي(٣)؛ **لأن**(٤) **السورة**(٥) **مكية**، والبلد لغة صدر القرى.(٦)

فالإمام الصالحي هنا حكى ترجيح القاضي عياض أن المراد بالبلد في الآية: مكة وعلل ذلك بكون سورة البلد مكية، وبكون المراد بالبلد لغة: صدر القرى.

قلت: وسورة البلد مكية في قول جمهور المفسرين.(٧) وحكى بعضهم الإجماع على ذلك. (٨) والأول أظهر ؛ لوقوع الخلاف في كونها مكية أو مدنية.

الرابع والستون من شعب الإيمان وهو باب في الصلاة على من مات من أهل القبلة، فصل في زيارة القبور،

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ١٢٥، ١٢٦)

(٢) سورة البلد، الآية: ١

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى – وحاشية الشمني (١/ ٣٣)

(٤) في النسخة المطبوعة من سبل الهدى والرشاد: (لكن السورة مكية)، والصواب: (لأن السورة مكية) ولا يستقيم الكلام إلا به، وهو نص القاضي عياض في الشفا؛ حيث قال: ".... والمراد ب «البلد» عند هؤلاء مكة. وقال الواسطي: أي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا، يعني المدينة. والأول أصح؛ لأن السورة مكية. (الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ٣٣) ويبدو أن ذلك من أخطاء محقق سبل الهدى والرشاد.

(٥) يعني سورة البلد.

(٦) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣/ ٢٨٧)

(٧) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٣)، البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٧٩)

(٨) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٤٦)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٥٩)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١١/ ٦)

قال الشهاب الخفاجي: "والخلاف في كونها مكية أو مدنية بتمامها أو إلا أربع آيات من أولها، ولكون هذين القولين يأباهما قوله: ﴿ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾[١] ادعى الزمخشري الإجماع على كونها مكية، وهو مروي عن ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – وهو الظاهر، وأمّا احتمال نزولها بمكة بعد الهجرة فتكون مدنية على قولٍ فبعيد".[٢]

ومن أمثلة عناية الإمام الصالحي بالمكي والمدني أيضا ما يلي:

– **قال الإمام الصالحي:** قال ابن سعد: قلت للواقدي: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾[٣] **وهذه السورة**[٤] **مكية؟** فقال: سألت مالكا وابن أبي ذئب عن هذا فقال: كفاه إياهم، فبعضهم عمي، وبعضهم مات فشغل عنه، وبعضهم كفاه إياه؛ إذ هيأ الله له من أسباب مفارقته بالهجرة ما هيأه له[٥]. [٦]

قلت: سورة الحجر مكية بالإجماع.[٧] قال ابن الجوزي: وهي مكّيّة كلّها من غير خلاف نعلمه.[٨] واستثنى بعضهم الآية ٨٧ ، وهي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾[٩]. [١٠] واستثنى بعضهم غيرها. [١١]

---

(١) سورة البلد، من الآية: ١

(٢) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي (٨/ ٣٦٠)

(٣) سورة الحجر، الآية: ٩٥

(٤) أي سورة الحجر.

(٥) ينظر: إمتاع الأسماع للمقريزي (١٤/ ٣٢٨)، أنساب الأشراف للبلاذري (١/ ١٣٩)

(٦) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٤٦٩)

(٧) ينظر: النكت والعيون (٣/ ١٤٧)، تفسير العز بن عبد السلام (٢/ ١٧٠)، لباب التأويل التأويل في معاني التنزيل (٣/ ٤٧)، اللباب في علوم الكتاب (١١/ ٤٢٢)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ٢٠٧)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ١٤٥)، فتح البيان في مقاصد القرآن (٧/ ١٤١)، التفسير القرآني للقرآن (٧/ ٢٠٩)

(٨) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٥٢٢)

(٩) سورة الحجر، الآية: ٨٧

(١٠) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٥٦٩)، مفاتيح الغيب (١٩/ ١١٦)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤١٥)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٥/ ٦٣)

(١١) ينظر: روح المعاني (٧/ ٢٤٩)

– **قال الإمام الصالحي:** في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا** ﴾[1] روى عن ابن عباس في الآية الآية قال: **نزلت ورسول الله ﷺ بمكة** متوار، فكان إذا صلّى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمع ذلك المشركون سبّوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به وتفرقوا عنه وأبوا أن يسمعوا منه، ...إلخ[2]. [3]

قلت: هذه الآية من سورة الإسراء، وهي بتمامها مكية في قول الجمهور، إلّا أنّ بعضهم يقول: فيها مدنيّ[4]، وهذه الآية لم يستثنها أحد من مكية السورة.

– **قال الإمام الصالحي:** قال أبو حيان رحمه الله: **هذه السورة**[5] **مكية.** [6]

قلت: الصحيح أن سورة النجم مكية كلها، ورد ذلك عن الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. وقال ابن عباس وقتادة: إلا آية منها، وهي قوله تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ** ﴾[7] الآية. وقيل: إن

(١) سورة الإسراء، من الآية: ١١٠

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ١٤٣) حديث (٧٤٩٠) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ **أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ** ﴾، ومسلم في صحيحه (١/ ٣٢٩) حديث (٤٤٦) كتاب الصلاة، باب التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية بين الجهر والإسرار، إذا خاف من الجهر مفسدة، وأخرجه غيرهما.

(٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٣٥١) بتصرف واختصار.

(٤) زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٧)، لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ١٠٩)، حاشيه حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي (٥/ ٣٨٤)، روح المعاني (٨/ ٣)

(٥) أي سورة النجم.

(٦) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣/ ٢٣)

(٧) سورة النجم، من الآية: ٣٢

السورة كلها مدنية. والصحيح أنها مكية لما روى ابن مسعود أنه قال: هي أول سورة أعلنها رسول الله ﷺ بمكة[١]. [٢]

– **قال الإمام الصالحي:** وروى ابن إسحاق[٣] وابن جرير[٤] عن عطاء بن يسار قال: **نزلت سورة النحل كلّها بمكة إلا ثلاث آيات من آخرها نزلت بالمدينة بعد أحد،** حيث قتل حمزة ومثل به، فقال رسول الله ﷺ : «**لئن ظهرنا عليهم لنمثّلنّ بهم مثلة لم يمثّلها أحد من العرب بأحد قطّ**»، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾[٥] إلى آخر السورة.[٦]

قلت: نص جمهور المفسرين على كون سورة النحل مكية إلا هذه الآيات الثلاث من آخرها. [٧] وقيل غير ذلك. [٨]

---

(١) أخرجه بنحوه: ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٧٢) حديث (٣٦٠١٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٤٢) حديث (٨٠٤) كتاب الإمامة وصلاة الجماعة، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين بالإسنادين جميعا ولم يخرجاه، والذي يؤدي إليه الاجتهاد صحة الحديثين والله أعلم، وقال الذهبي: تابعه زكريا بن أبي زائد عن أبي إسحاق على شرطهما.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٨١)، ويراجع: زاد المسير في علم التفسير (٤/ ١٨٣)، اللباب في علوم الكتاب (١٨/ ١٥٢)، التحرير والتنوير (٢٧/ ٨٧)، التفسير الواضح (٣/ ٥٥٣)

(٣) ذكر ابن كثير رواية ابن إسحاق ثم قال: وهذا مرسل، وفيه رجل مبهم لم يسم، وقد روي هذا من وجه آخر متصل، فقال الحافظ أبو بكر البزار: بسنده عن أبي هريرة، ﷺ ؛ أن رسول الله ﷺ وقف على حمزة بن عبد المطلب، رضي الله عنه، حين استشهد، ... إلخ ثم قال: وهذا إسناد فيه ضعف؛ لأن صالحا –هو ابن بشير المري– ضعيف عند الأئمة، وقال البخاري: هو منكر الحديث. (تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٦١٤)

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٧/ ٣٢٣)

(٥) سورة النحل، من الآية: ١٢٦

(٦) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٤/ ٢٢٣)

(٧) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٧/ ٣٢٣)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٨٩)، تأويلات أهل السنة (٦/ ٤٧١)، بحر العلوم (٢/ ٢٦٥)، الهداية الى بلوغ النهاية (٦/ ٣٩٤٣)، تفسير السمعاني (٣/ ١٥٨)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (٣/ ٧٠)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٥٩٢)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٢١٩)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٢٢)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ٢٣٩)، تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن (٢/ ٣٢٦)

(٨) يراجع: زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٥٤٨)، الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٦٥)

وهنا مسألة مهمة ينبغي بسط القول فيها، وهي وجود آيات مدنية في سورة مكية أو العكس.

وتتضح هذه المسألة من خلال الوجوه التالية:

أولا: إن ترتيب الآيات والسور في المصحف لم يعتمد على تأريخ نزولها، وإنما اعتمد على بيان رسول الله ﷺ وقراءته للقرآن وتعليمه ذلك للصحابة ﷺ .[١]

ومن ثم فترتيب الآيات في السور، ووضع الآية في مكانها من السورة، كان في حياة النبي ﷺ وبأمره ، كما أمر الله سبحانه وتعالى. [٢]

ثانيا: لا مانع من وجود آيات مدنية في السور المكية، أما عكس ذلك وهو وجود آيات مكية في السور المدنية فنادر على ما ذهب إليه ابن حجر. [٣]

فالروايات عن الآيات المكية في السور المدنية قليلة جدا، ومع ذلك فليس من المعقول أن يتصرف الصحابة بعد النبي ﷺ ، فينقلوا آيات من سور مكية إلى سور مدنية، وآيات من سور مدنية إلى سور مكية البتة، وإنما وقع ذلك في حياة النبي ﷺ وبأمره. [٤]

بل قد يكون الأمر أبعد من ذلك ، وأن وجود آيات مكية في السور المدنية شيء لا وجود له، فلا يعقل أن تنزل الآية بمكة ، وأن تبقى سنين طويلة لا مكان لها إلى أن تنزل السورة المدنية، ثم توضع تلك الآيات أو الآية في تلك السورة.[٥]

---

(١) محاضرات في علوم القرآن – غانم قدورى (ص: ٧٧)
(٢) التفسير الحديث (١/ ١١٣)، التفسير القرآني للقرآن (٧/ ٣٦٣)
(٣) فتح الباري لابن حجر (٩/ ٤١)
(٤) التفسير الحديث (١/ ١١٣ – ١١٥) بتصرف واختصار.
(٥) إتقان البرهان في علوم القرآن، د. فضل عباس (١/ ٣٨٩)

ثالثا: ما استثناه العلماء في السور المكية من آيات مدنية يظهر فيه الغلو والتكلف في كثير من الأحيان، وقل أن نجد سورة من السور المكية إلا وقد استثنوا منها آيات قالوا: إنها مدنية، وفي أغلب الأحيان يكون هذا الاستثناء لأسباب واهية. (١)

رابعا: لما كان وجود آيات مدنية في سورة مكية أو آيات مكية في سورة مدنية خلاف الأصل، فالمختار عدم قبول القول به إلا إذا ثبت برواية صحيحة السند، صريحة المتن، سالمة من المعارضة والاحتمال.(٢)

ومن الأمثلة الدالة على عناية الإمام الصالحي بالمكي والمدني أيضا على سبيل الإجمال ما يلي:

– **قال الإمام الصالحي:** ... ومما يؤيد ذلك **أن السورة**(٣) **مدنية،** وأكثر ما خوطب فيها اليهود.....(٤)

– **قال الإمام الصالحي:** قال ابن إسحاق: وكان مما أنزل الله عز وجل من القرآن في ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له: ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ** ﴾(٥)، **وهذه السورة**(٦) **مدنية،** وهذه الواقعة كانت بمكة قبل أن أن يهاجروا إلى المدينة. (٧)

– **قال الإمام الصالحي: سورة (عبس) نزلت بمكة** قبل الهجرة.(٨)

---

(١) إتقان البرهان في علوم القرآن، د. فضل عباس (١/ ٣٨٩)
(٢) تفسير المنار (٧/ ٢٣٧، ٢٣٨)
(٣) يعني سورة البقرة.
(٤) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ١٢٥) باختصار.
(٥) سورة الأنفال، الآية: ٣٠
(٦) يعني سورة الأنفال.
(٧) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣/ ٢٣٣) باختصار.
(٨) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٨/ ٩٢)

– **قال الإمام الصالحي:** وروى الطبراني[١] وابن المنذر عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: **نزلت سورة الأنعام بمكة ليلا جملة،** وحولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسبيح.[٢]

– **قال الإمام الصالحي:** انعقد الإجماع على أن في هذه الآية[٣] من من تعظيم الله تعالى للنبي ﷺ والتنويه به ما ليس في غيرها، **وهي مدنيّة،** والمقصود منها إخباره تعالى عباده بمنزلة نبيه ﷺ عنده في الملأ الأعلى...[٤]

قال الإمام الصالحي: قال الشيخ – رحمه الله تعالى – في مناسباته[٥]: «**هذه السورة**[٦] **والأربعة بعدها من قديم ما نزل،** عن ابن مسعود – رضي الله تعالى عنه – أنه قال في سورة بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: هنّ من العتاق الأول وهنّ من تلادي»[٧]. التّلاد– بكسر المثناة الفوقية وتخفيف اللام – أي مما حفظ قديما، وهذا وجه في ترتيبها، **وهو اشتراكها في قدم النزول وكونها مكيّات،** وكلها مشتملة على القصص.[٨]

ومن خلال ما سبق يتضح لنا مدى اهتمام الإمام الصالحي وعنايته ببيان المكي والمدني من آيات القرآن الكريم وسوره.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٢١٥) حديث (١٢٩٣٠)

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١٠/ ٢٩٨)

(٣) يعني قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٥٦]

(٤) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١٢/ ٤٠٩)

(٥) ينظر: أسرار ترتيب القرآن للسيوطي (ص: ١٠٣)

(٦) يعني سورة الإسراء.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه صحيح البخاري (٦/ ٨٢) حديث (٤٧٠٨) كتاب التفسير، باب سورة بني إسرائيل، (٦/ ٩٦) حديث (٤٧٣٩) كتاب التفسير، باب سورة الأنبياء، (٦/ ١٨٥) حديث (٤٩٩٤) كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، وأخرجه غيره.

(٨) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣/ ٤) باختصار.

المبحث الخامس: أسباب نزول القرآن الكريم.

اهتم الإمام الصالحي بأسباب النزول اهتماما كبيرا، واستعان بها على تفسير الآيات وتوضيحها، فنجده كثيرا ما يقول: إن هذه الآية نزلت في كذا، أو حدث كذا فنزلت آية كذا، **والاهتمام بأسباب النزول هو الجانب الأبرز في كتاب "سبل الهدى والرشاد".**

والعناية بأسباب النزول ضرورية لمن أراد تفسير كتاب الله تعالى، حتى قال الإمام الواحدي: أسباب النزول هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها.[١]

وقال ابن دقيق العيد: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن.[٢]

وقال ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فان العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب.[٣]

قال الإمام السيوطي: "زعم زاعم أنه لا طائل تحت هذا الفن لجريانه مجرى التاريخ، وأخطأ في ذلك، بل له فوائد".[٤]

إذ لمعرفة سبب النزول فوائد كثيرة، منها ما يلي:

١- معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.

٢- تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب.

---

(١) أسباب النزول للواحدي (ص: ٨)

(٢) ينظر قوله في : البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٢)، الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٠٨)، ١٠٨)، لباب النقول (ص: ٣)

(٣) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص: ١٦)، مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٣٩)

(٤) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٠٩)

٣- أن اللفظ قد يكون عاما ويقوم الدليل على تخصصه فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته، فإن دخول صورة السبب قطعي، وإخراجها بالاجتهاد ممنوع.

٤- دفع توهم الحصر.

٥- معرفة اسم النازل فيه الآية وتعيين المبهم فيها. [١]

قال الإمام الواحدي: "ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب، إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها وجدوا في الطلاب".[٢]

ومن أمثلة اهتمام الإمام الصالحي بأسباب النزول ما يلي:

- **قال الإمام الصالحي:** وأخرج الترمذي عن علي أن أبا جهل قال للنبي ﷺ إنّا لا نكذّبك ولكن نكذّب ما جئت به فأنزل الله تعالى ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[٣]. [٤]

- **قال الإمام الصالحي:** ... وقد دعا النبي ﷺ بني عبد المطلب ليجتمعوا به، فلما حضروا قال لهم: أني ما أعلم شابا جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، فلقد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وبلغهم دعوته، فصدق به بعضهم وكذب آخرون، وكان عمه أبو لهب هو وزوجته من أشد الناس

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٢)، الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٠٩، ١١٠)

(٢) أسباب النزول للواحدي (ص: ٨)

(٣) سورة الأنعام، من الآية: ٣٣

والحديث أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٢٦١) حديث (٣٠٦٤) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنعام، وقال الترمذي: حدثنا إسحاق بن منصور قال: أخبرنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن ناجية، أن أبا جهل قال للنبي ﷺ ، فذكر نحوه «ولم يذكر فيه عن علي، وهذا أصح» ، وضعف الألباني إسناده الأول، كما في ضعيف سنن الترمذي (ص: ٣٧٤) وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٥) حديث (٣٢٣٠) كتاب التفسير، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، وخالفه الذهبي فقال: ما خرجا لناجية شيئا.

(٤) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (المقدمة/١١، ١٦، ١٧)

قسوة عليه، فقد هتف به أبو لهب قائلا: تبا لك، ألهذا دعوتنا؟ فنزل قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[١].. إلى آخر سورة المسد.[٢]

كما تعرض الإمام الصالحي لمسألة أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما في قوله: قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٣] الآية، وإن نزلت في المخلّفين عن غزوة تبوك، وفي صدقة التطوع التي هي من تمام توبتهم، **لكنها عامّة لغيرهم**، وفي الزكاة المفروضة. ولهذا قال مانعو الزكاة: لا ندفعها إلا لمن صلواته سكنٌ لنا، وقد كان ﷺ يأخذ الزكاة من أربابها ويفرّقها على مستحقيها كما هو معلوم معروف.[٤]

فالإمام الصالحي هنا يشير إلى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

والعناية بأسباب النزول لا تعنى قصر الحكم على من نزل بشأنه، والقول بتعدية الآيات الى غير أسبابها جعل جمهور الأصوليين يذهبون الى أن "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب". [٥]

ومن هنا قرر العلماء أن النص القرآني العام يشمل أفراد السبب وغير أفراده؛ لأن عموميات القرآن لا يعقل أن تقصر على شخص بعينه لا تتجاوزه إلى غيره.

---

(١) سورة المسد، الآية: ١

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (المقدمة/١٦، ١٧)

(٣) سورة التوبة، من الآية: ١٠٣

(٤) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١/ ٤٢٥، ٤٢٦)

(٥) يراجع: التلخيص في أصول الفقه (٢/ ١٥٤)، المحصول للرازي (٣/ ١٢٥)، روضة الناظر وجنة المناظر (٢/ ٣٥)، الإبهاج في شرح المنهاج (٢/ ١٨٥)، الأشباه والنظائر للسبكي (٢/ ١٣٤)، نهاية السول شرح منهاج الوصول (ص: ٢١٨)، البحر المحيط في أصول الفقه (٤/ ٢٦٩)، القواعد والفوائد الأصولية وما يتبعها من الأحكام الفرعية (ص: ٣١٨)

قال ابن تيمية: " والناس وإن تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب هل يختص بسببه أم لا؟ فلم يقل أحد من علماء المسلمين: إن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين، وإنما غاية ما يقال: إنها تختص بنوع ذلك الشخص فيعم ما يشبهه، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ.

والآية التي لها سبب معين، إن كانت أمرا ونهيا فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلته، وإن كانت خبرًا بمدح أو ذم فهي متناولة لذلك الشخص وغيره ممن كان بمنزلته أيضًا".(١)

وأحيانا يذكر الإمام الصالحي العلة في نزول الآية عقب سببها، كما في قوله: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾(٢) روى الشيخان عن جابر بن عبد الله– رضي الله تعالى عنهما– أن رسول الله ﷺ قال وهو يحدث عن فترة الوحي: «**بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسّي بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت فقلت دثروني دثروني**» – وفي لفظ: زمّلوني زمّلوني – فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾(٣). (٤)

ذكر الإمام الصالحي هذا السبب لنزول الآية ثم قال معقبا عليه: وهو اسم مشتق من الحالة التي كان عليها حين النزول. والمدثر: المتلفّف في الدثار وهو الثياب، وأصله المتدثر؛ لأنه من تدثّر، فقلبت التاء دالاً وأدغمت. قال أبو القاسم بن الورد: وإنما نزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ عقب قوله: «زملوني»؛ لأجل أن هذا التزمل أريد به الدثار من البرد الذي يعتري

(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص: ١٦)
(٢) سورة المدثر، الآية: ١
(٣) سورة المدثر، الآيتان: ١، ٢
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ١٦١) حديث (٤٩٢٢) كتاب التفسير، باب سورة المدثر، (٦/ ١٦٢) حديث (٤٩٢٤) كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾، ومسلم في صحيحه (١/ ١٤٤) حديث (١٦١) كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، وأخرجه غيرهما.

الروع؛ لأنه كالمحموم، مخاطبة بالمعنى المطلوب من تزمل، أي يا أيها المزمل المدثر دع هذا الدّثار وخذ في الإنذار؛ تأنيباً له من ذلك الروع، وتنشيطاً على فعل ما أمر به. كما تقول لمن أرسلته في حاجة فتخوّف وجلس في بيته: يا أيها المتخوّف امض فيما وجّهتك. ولو قلت: يا أيها الجالس في بيته لاستقام لكن بدأه بالمعنى الذي من أجله جلس في بيته آنس له وآمن من تخوّفه وأبلغ في التنشيط له.(١)

والإمام الصالحي يهتم كثيرا ببيان درجة الأحاديث الواردة في سبب نزول الآيات، ويقارن بين الأسباب الواردة حتى يتوصل إلى الجمع بينها أو يبين الراجح منها، كما في قوله: دلّ حديث ابن مسعود على أن نزول هذه الآية كان بالمدينة، وروى الإمام أحمد، والترمذي وصحّحه، والنسائي، وابن حبان، عن ابن عباس قال: قالت قريش ليهود: أعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل. فقالوا: سلوه عن الروح، فنزلت: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٢). قالوا: «أوتينا علما كثيرا، أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرا كثيرا». فأنزل الله عز وجل: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾(٣).(٤)

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١/ ٥٠٩)

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٥

(٣) سورة الكهف، الآية: ١٠٩

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٥٦) حديث (٢٣٠٩) وقال أحمد شاكر في تعليقه عليه: إسناده صحيح، وأخرجه الترمذي في سننه (٥/ ١٥٥) حديث (٣١٤٠) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٥٧٩) حديث (٣٩٦١) كتاب التفسير، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبي، وأخرجه غيرهم.

ثم قال الصالحي بعد ذكره لهذا الحديث: سند رجاله رجال صحيح مسلم، ورواه ابن إسحاق من وجه آخر نحوه، وسبق في باب امتحان المشركين رسول الله ﷺ بأشياء لا يعرفها إلا نبي.

ثم قال: وروى ابن إسحاق وابن جرير عن عطاء بن يسار قال: نزلت بمكة: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1]، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه أحبار يهود فقالوا: يا محمد، بلغنا أنك تقول: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أفعنيتنا أم عنيت قومك؟ قال: «لا بل عنيتكم» . فقالوا: «إنك تتلو أنّا أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء» . فقال رسول الله ﷺ «هي في علم الله قليل، وقد آتاكم الله ما إن عملتم به انتفعتم» ، وأنزل الله عز وجل: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[2]. [3]

ودلّ حديث ابن عباس[4] وأثر عطاء على أن الآية نزلت بمكة، وجمع بينهما وبين حديث ابن مسعود ﷺ بتعدد النزول، ويحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك إن ساغ ذلك، **وإلا فما في الصحيح أصحّ.**

وقال الشيخ – رحمه الله تعالى – في الإتقان[5]: «إذا استوى الإسنادان في الصحة فيرجح أحدهما بكون راويه حاضر القصة أو نحو ذلك من وجوه الترجيحات» ، ثم ذكر مثالا له حديث ابن مسعود وحديث

(١) سورة الإسراء، من الآية: ٨٥

(٢) سورة لقمان، الآيتان: ٢٧، ٢٨

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧/ ٥٤٤، ٥٤٥)

(٤) في النسخة المطبوعة من سبل الهدى والرشاد: (ابن مسعود)، والصواب (ابن عباس)؛ لأن الكلام لا يستقيم إلا به.

(٥) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٢٠)

ابن عباس المذكورين. ثم قال: «فهذا– أي حديث ابن عباس– يقتضي أن الآية نزلت بمكة، والحديث الأول خلافه» . وقد رجح أن ما رواه البخاري أصح من غيره، وبأن ابن مسعود كان حاضر القصة. (١)

قلت: سبق تحقيق القول في هذه المسألة في (المبحث الرابع: المكي والمدني).

وقال الإمام الصالحي في موضع آخر: وقال تعالى – فيما سألوه عنه من الروح الذي يحيا به البدن –: ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ أي علمه لا تعلمونه. ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾(٢) بالنسبة إلى علمه تعالى.

وكلام ابن إسحاق يدل على أن هذه الآية مكّية. ورواه الترمذي عن ابن عباس(٣)، ورجاله رجال مسلم.

وفي الصحيحين أن اليهود سألوا النبي ﷺ عن الروح بالمدينة فنزلت هذه الآية.(٤)

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣/ ٣٨٥، ٣٨٦)

(٢) سورة الإسراء، من الآية: ٨٥

(٣) عن ابن عباس، قال: قالت قريش ليهود: أعطونا شيئا نسأل هذا الرجل، فقال: سلوه عن الروح، فسألوه عن الروح، فأنزل الله تعالى ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ ، قالوا: أوتينا علما كثيرا أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرا كثيرا، فأنزلت ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ﴾ إلى آخر الآية.
(أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٥٦) حديث (٢٣٠٩)، والترمذي في سننه (٥/ ١٥٥) حديث (٣١٤٠) كتاب التفسير، باب: ومن سورة بني إسرائيل، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠/ ١٦٧) حديث (١١٢٥٢) كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ ...﴾ ، وأخرجه غيرهم).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٣٧) حديث (١٢٥) كتاب العلم، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ ، (٦/ ٨٧) حديث (٤٧٢١) كتاب التفسير، باب ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ﴾ ، ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٥٢) حديث (٢٧٩٤) كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح وقوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ﴾، وأخرجه غيرهما.

قال الحافظ: **ويمكن الجمع بأن يتعدّد النزول**، ويحمل سكوته في المرة الثانية على توقّع مزيد بيان في ذلك، **وإلا فما في الصحيح أصحّ.** [1]

وأحيانا يبين الإمام الصالحي ضعف سبب النزول الوارد في الآية، سواء من جهة السند أو من جهة المتن، كما في قوله: فصل في الكلام على أحاديث النهي عن استغفار النبي ﷺ لأبويه. حديث أنه ﷺ قال: «**ليت شعرى ما فعل أبواي**» فنزل ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾[2]، فما ذكرهما حتى توفاه الله.[3] رواه ابن جرير وغيره عن محمد بن كعب القرظى مرسلا، وسنده ضعيف لا تقوم به حجة. وروى أيضا عن داود بن أبي عاصم نحوه، وهو معضل، وسنده ضعيف لا تقوم به حجة.

ثم إن هذا السبب مردود بوجوه أخرى من جهة الأصول والبلاغة وأسرار البيان، وذلك أن الآيات من قبل هذه الآيات ومن بعدها كلها في اليهود من قوله تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾[4] إلى قوله: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ ﴾[5]، واختتمت القصة بمثل ما صدرت به، وهو قوله ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٣٥٠)

(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٩

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٩٢)، وابن الأعرابي في معجمه (١/ ٣٩٤) حديث (٧٥١)، وابن جرير في تفسيره (٢/ ٥٥٨)، وقال أحمد شاكر في تعليقه على روايتين للحديث: الحديثان مرسلان، فإن محمد بن كعب بن سليم القرظي تابعي. والمرسل لا تقوم به حجة، ثم هما إسنادان ضعيفان أيضًا، بضعف راويهما: موسى بن عبيدة بن نشيط الربذي: ضعيف جدا.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٤٠

(٥) سورة البقرة، من الآية: ١٢٤

﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾[١] الآيتين، فتبين أن المراد بأصحاب الجحيم: كفار أهل الكتاب، وقد ورد ذلك مصرحا به في الأثر. روى عبد بن حميد والفريابي عن مجاهد قال: من أول البقرة أربع آيات في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة آية في نعت المنافقين، ومن أربعين آية إلى عشرين ومائة في بني إسرائيل.[٢]

ومما يؤيد ذلك: أن السورة مدنية، وأكثر ما خوطب فيها اليهود، ويرشح ذلك من حيث المناسبة أن الجحيم اسم لما عظم من النار كما هو مقتضى اللغة والآثار... فاللائق بهذه المنزلة من عظم كفره واشتد وزره وعاند عند الدعوة، وبدل وحرف وجحد بعد علم، لا من هو بمظنة التخفيف.

وإذا كان قد صح في أبي طالب أنه أهون أهل النار عذابا[٣] لقرابته منه ﷺ وبره به، مع إدراكه الدعوة وامتناعه من الإجابة وطول عمره، فما ظنك بأبويه اللذين هما أشد منه قربا وآكد منه حبا، وأبسط عذرا وأقصر منه عمرا؟ فمعاذ الله أن يظن بهما أنهما في طبقة الجحيم وأن يشدد عليهما العذاب العظيم، هذا لا يفهمه من له أدنى ذوق. [٤]

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ١٢٢

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١/ ٢٦٩)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (١/ ٥٩) وعزاه إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن الضريس وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد.

(٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ**» (أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١١٥) حديث (٦٥٦١) كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ومسلم في صحيحه – واللفظ له – (١/ ١٩٦) حديث (٢١٢) كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذابا، وأخرجه غيرهما.

(٤) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ١٢٤، ١٢٥) باختصار.

وكما في قوله: "وأما ما يروى في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ** ﴾[1] من أن النبي ﷺ استغفر لأمه فنزلت الآية.[2] فرواه الحاكم عن ابن مسعود، وابن جرير من طريق عطية العوفي، والطبراني من طريق عكرمة، كلاهما عن ابن عباس، وابن مردويه عن بريدة قال: وفيه أن قبرها بمكة.

قال الشيخ[3] رحمه الله تعالى: فأما حديث ابن مسعود وإن صححه الحاكم فقد تعقبه الذهبي في مختصره فقال: في سنده أيوب بن هانئ، ضعفه ابن معين. فهذه علة تقدح في صحته. وله علة ثانية **وهي مخالفته لما في صحيح البخاري وغيره أن هذه الآية نزلت بمكة عقب موت أبي طالب واستغفار النبي ﷺ له**[4]. وأما حديث ابن عباس فله علتان: مخالفته للحديث الصحيح كما سبق وضعف إسناده. وأما حديث بريدة فله علتان: إحداهما المخالفة في سبب نزول الآية. والثانية: قال ابن سعد بعد تخريجه: هذا غلط وليس قبرها بمكة وقبرها بالأبواء.

---

(١) سورة التوبة، من الآية: ١١٣

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٣٦٦) حديث (٣٢٩٢) كتاب التفسير، وقال: «صحيح على شرطهما ولم يخرجاه هكذا بهذه السياقة»، وخالفه الذهبي فقال: أيوب بن هانىء ضعفه ابن معين. وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٣٧٤) حديث (١٢٠٤٩)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٤/ ٥١٢)، وأخرجه غيرهم.

(٣) أي الإمام السيوطي.

(٤) عَنِ ابْنِ المُسَيّبِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: «**أَيْ عَمِّ، قُلْ لاَ إِلَهَ إِلا اللَّهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ**» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَلَمْ يَزَالاَ يُكَلِّمَانِهِ، حَتَّى قَالَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ**» فَنَزَلَتْ: ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ** ..... ﴾ [التوبة: ١١٣]. وَنَزَلَتْ: ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ** ﴾

(أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٩٥) حديث (١٣٦٠) كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، (٥/ ٥٢) حديث (٣٨٨٤) كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، (٦/ ٦٩) حديث (٤٦٧٥) كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ** ﴾، (٦/ ١١٢) حديث (٤٧٧٢) كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ** ﴾.)

قال الشيخ – رحمه الله تعالى –: وأصح هذه الطرق أن النبي ﷺ زار قبر أمه في أَلْفِ مُقَنَّعٍ[١] فما رئي أكثر باكيا من ذلك اليوم.[٢] رواه الحاكم وصححه عن [بريدة]. وهذا القدر لا علة له، وليس فيه مخالفة لشيء من الأحاديث، ولا نهي عن الاستغفار، وقد يكون البكاء لمجرد الرقة التي تحصل عند زيارة الموتى من غير سبب تعذيب ونحوه.[٣]

فالإمام الصالحي يستدل هنا على ضعف سبب النزول الوارد في الآية بضعف إسناده، وبأن سياق الآيات ينافي المعنى الوارد في هذا السبب، فالآيات قبل هذه الآيات وبعدها كلها في اليهود. ثم يستدل على بطلان هذا السبب أيضا بكون سورة البقرة مدنية، وأكثر ما خوطب فيها اليهود، كما يستدل على ضعف هذا السبب بمخالفته لما في صحيح البخاري وغيره من أن هذه الآية نزلت بمكة عقب موت أبي طالب واستغفار النبي ﷺ له.

وصنيع الإمام الصالحي هنا في غاية الحسن.

ومن أمثلة تعقبه لأسباب النزول الضعيفة أيضا قوله: ".... ما ذكره ابن إسحاق[٤] من سبب نزول سورة الضحى، رواه الطبراني من طريق العوفي، وهو ضعيف، عن ابن عباس. ومن طريق إسماعيل مولى آل الزبير ذكره سليمان التّيمي في السيرة التي جمعها.

---

(١) فِي أَلْفِ مُقَنَّعٍ، أَيْ: فِي أَلْفِ فَارِسٍ مُغَطًّى بِالسِّلاحِ. (شرح السنة للبغوي (٥/ ٤٦٣)

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٦٦١) حديث (٤١٩٢) كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء و المرسلين، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبي، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١١/ ٤٦٩) حديث (٨٨٥٠) الرابع والستون من شعب الإيمان وهو باب في الصلاة على من مات من أهل القبلة، فصل في زيارة القبور.

(٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ١٢٤ – ١٢٦)

(٤) يشير إلى ما روي عن ابن إسحق قال: ثم فتر الوحي عن النبي ﷺ فترة مثل ذلك حتى شق عليه وأحزنه، ثم قال في نفسه مما أبلغ ذلك منه: لقد خشيت أن يكون صاحبي قد قلاني وودعني، فجاء جبريل بسورة «والضحى» ، يقسم له به، وهو الذي أكرمه ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾. (سيرة ابن اسحاق (ص: ١٣٥)

قال الحافظ[١]: وكل هذه الروايات لا تثبت بحال، ويخالفها ما رواه الشيخان في سبب نزولها عن جندب بن سفيان البجلي – رضي الله تعالى عنه – أن رسول الله ﷺ اشتكى فلم يقم ليلتين أو ثلاثا، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم يقربك منذ ليلتين أو ثلاث، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ إلى آخر السورة. [٢]

قال الحافظ رحمه الله تعالى[٣]: والحق أن الفترة التي في سبب نزول سورة الضحى غير الفترة المذكورة في ابتداء الوحي فإنها دامت أياما وهذه لم تكن إلا ليلتين أو ثلاثا، فاختلطتا على بعض الرواة، وتحقيق الأمر ما بينته.

وذكر الحافظ ابن كثير[٤] نحوه.

قال الحافظ[٥]: ووقع في السيرة لابن إسحاق في سبب نزولها شيء آخر، فإنه ذكر أن المشركين لما سألوا رسول الله ﷺ عن ذي القرنين وغيره، ووعدهم بالجواب ولم يستثن، فأبطأ عليه جبريل اثنتي عشر ليلة، فضاق صدره وتكلّم المشركون فنزل جبريل بسورة الضحى وبجواب ما سألوا.

قال الحافظ: ونزول سورة الضحى هنا بعيد، لكن يجوز أن يكون الزمان في القصتين متقاربا، فضمّ بعض الرواة إحدى القصتين إلى الأخرى، وكلّ منهما لم يكن في ابتداء المبعث، وإنما كان بعده بمدة.

---

(١) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ٧١٠)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ١٧٢) حديث (٤٩٥٠) كتاب التفسير، باب ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٢٢) حديث (١٧٩٧) كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، وأخرجه غيرهما.

(٣) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ٧١٠)

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٤٢٤، ٤٢٥)

(٥) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ٧١٠)

وعند الطبراني[١] بإسناد فيه من لا يعرف أن سبب إبطاء جبريل كون جرو كلب تحت سريره ﷺ لم يشعر به، فأبطأ عنه جبريل كذلك.

وقضية إبطاء جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة، لكن كونها سبب نزول هذه السورة شاذ مردود بما في الصحيح، وكلّ ما خالفه فغير ثابت.[٢]

وهو تحقيق جيد للإمام الصالحي في هذه المسألة.

وأحيانا يذكر الإمام الصالحي أن الآية مختلف في سبب نزولها، ويحيل القاري على كتب التفسير، كما في قوله: قد اختلف في سبب نزول قوله: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾[٣] **وقوله:** ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾[٤] وغير ذلك مما محلّه كتب التفسير.[٥]

وأحيانا يعدد الروايات الواردة في سبب النزول، كما في قوله: اختلف في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[٦] الآيات، وقوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ﴾[٧]. ﴿[٧]. فقيل: نزلت هي و﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾[٨] في محاورة

---

(١) عن ابن عباس، أن ميمونة، أخبرته، أن رسول الله ﷺ أصبح يوما واجما، فقالت له ميمونة: يا رسول الله استنكرت هيئتك هذا اليوم، فأقام رسول الله ﷺ يومه ذلك على ذلك، ثم وقع في نفسه جرو كان تحت نضد لنا، فأمر به فأخرج، ثم أخذ بيده ماء فنضح مكانه، فلما أمسى لقيه جبريل عليه السلام، فقال له رسول الله ﷺ : «قد كنت واعدتني أن تلقاني البارحة، فقال: أجل، ولكننا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة»
أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٤/ ١٢) حديث (٣٤٨٧)، (٩/ ٧٥) حديث (٩١٧١) وقال الطبراني: لم يرو هذه الأحاديث عن ابن أخي الزهري إلا الدراوردي، تفرد بها إبراهيم بن حمزة، وكذا أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٣/ ٤٣٠، ٤٣١) حديث (١٠٤٦، ١٠٤٧)

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٢٧٥، ٢٧٦)

(٣) سورة الرعد، من الآية: ١١

(٤) سورة الرعد، من الآية: ١٣

(٥) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٦/ ٣٦٣)

(٦) سورة الحجرات، من الآية: ١

(٧) سورة النور، من الآية: ٦٣

(٨) سورة الحجرات، من الآية: ٢

محاورة كانت بين أبي بكر وعمر بين يدي النبي ﷺ ، واختلاف جرى بينهما حتّى ارتفعت أصواتهما عنده ﷺ . [١]

وقيل: نزلت في ثابت بن قيس بن شمّاس خطيب النبي ﷺ في مفاخرة بني تميم، وكان في أذنيه صمم، فكان يرفع صوته، فلما نزلت أقام في منزله، وخشي أن يكون قد حبط عمله، ثم تفقده النبي ﷺ فأخبر بشأنه، فدعاه، فأتى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله، خشيت أن أكون هلكت، نهانا الله – تعالى– أن نجهر بالقول، وأنا امرؤ جهير الصّوت.

فقال النبي ﷺ: يا ثابت، أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا، وتدخل الجنّة! فقتل يوم اليمامة سنة اثنتي عشرة، في ربيع الأول في خلافة الصّدّيق. [٢] .....

وقيل: نزلت ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ ﴾[٣] في غير بني تميم[٤]. [٥]

إلى غير ذلك من النماذج الكثيرة جدا.

---

(١) عن عَبْد اللَّهِ بْن الزُّبَيْرِ: «أَنَّهُ قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ »، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمِّرِ القَعْقَاعَ بْنَ مَعْبَدِ بْنِ زُرَارَةَ، قَالَ عُمَرُ: بَلْ أَمِّرِ الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا أَرَدْتَ إِلَّا خِلاَفِي، قَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلاَفَكَ، فَتَمَارَيَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، فَنَزَلَ فِي ذَلِكَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ﴾ [الحجرات: ١] حَتَّى انْقَضَتْ.
(أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ١٦٨) حديث (٤٣٦٧) كتاب المغازي، بابٌ، وأخرجه غيره).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٦/ ١٢٥، ١٢٦) حديث (٧١٦٧) كتاب إخباره ﷺ عن عن مناقب الصحابة – رضي الله عنهم أجمعين –، ذكر ثابت بن قيس بن شماس – رضي الله تعالى عنه –، والطبراني في المعجم الأوسط (١/ ١٨) حديث (٤٢) وقال: لم يرو هذا الحديث عن الأوزاعي إلا يحيى بن حمزة. تفرد به ولده عنه، وفي المعجم الكبير للطبراني (٢/ ٦٦) حديث (١٣١٠)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٦٠) حديث (٥٠٣٤) كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة، وأقرَّه الذهبي في التلخيص، وأخرجه غيرهم.

(٣) سورة الحجرات، من الآية: ٤

(٤) في الشفا: وقيل: نزلت في غير بني تميم، نادوه باسمه. (الشفا بتعريف حقوق المصطفى المصطفى – وحاشية الشمني (٢/ ٣٧)

(٥) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١١/ ٤٣٧، ٤٣٨)

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، وأصلى وأسلم على من بعثه الله رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**،،

فقد كشفت هذه الدراسة عن العديد من النتائج التي كان من أهمها ما يلي:

١- القول بأن القرآن الكريم نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجما هو القول المعتمد عند جمهور أهل العلم.

٢- والقول بأن القرآن الكريم ابتدئ إنزاله في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مختلفة قول جدير بالقبول أيضًا.

٣- مما يجب الالتفات إليه في موضوع نزول القرآن أن هذا الاختلاف لا يؤثر في شيء على نص القرآن الكريم، فسواء هذا أو ذاك فنص القرآن واحد في كلا القولين، وهما يؤولان إلى نتيجة واحدة وهي أن النبي ﷺ تلقى القرآن مفرقا في ثلاث وعشرين سنة.

٤- لنزول القرآن الكريم جملة إلى السماء – على رأي القائلين به – حكمًا عديدة، منها: تعظيم شأن القرآن الكريم وتفخيم أمره، وتعظيم شأن الرسول ﷺ وتشريفه وتفضيله.

٥- ذكر العلماء لنزول القرآن الكريم منجما حكما عديدة ، منها: تثبيت فؤاد النبي ﷺ وتقوية قلبه، والتدرج في تربية هذه الأمة ، ومسايرة الحوادث والطوارئ في تجددها وتفرقها، والإرشاد إلى مصدر القرآن، وأنه كلام الله وحده.

٦- الذي نقطع به – والله أعلم– أن القرآن الكريم كله نزل في الحالة التي يكون فيها جبريل على ملكيته، وهذا هو الذي يليق بالقرآن الكريم، وينفي أي احتمال أو تلبيس في تلقيه.

٧- القول الراجح هو أن جبريل عليه السلام تلقى القرآن من ربه دون واسطة ؛ لأن هذا هو الأليق بالقرآن الكريم والأنسب بعظمته وفخامة شأنه.

٨- كان النبي ﷺ يعاني من التنزيل شدّة ويتصبب العرق من جبينه، وهذه الشدة التي كانتْ تقعُ به ﷺ عندما يَغشاهُ الوحيُ لم تجعله ﷺ يغيب عن وعيه، وإنما كان يتلقى الوحي بوعي كامل، فهو يتلقاه بقلبه وينطبع في عقله.

٩- القرآن الكريم لم ينزل منه شيء إلا عن طريق جبريل عليه السلام ولم يأت شيء منه عن تكليم أو إلهام أو منام، بل كله أوحي به في اليقظة وحيا جليّا.

١٠- فترة الوحي عبارة عن تأخرّه مدة من الزمان، وليس المراد بفترته عدم مجيء جبريل إليه، بل تأخر نزول الوحي فقط.

١١- القول المعتمد لدى العلماء أن أول ما نزل من القرآن مطلقا هو صدر سورة العلق.

١٢- الراجح أن آخر ما نزل من القرآن الكريم مطلقا هو قول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾.

١٣-الراجح أن المراد بالأحرف السبعة: سبعة أوجه من المعاني المتفقة بألفاظ مختلفة، وإن شئت فقل: سبع لغات من لغات العرب المشهورة في كلمة واحدة، تختلف فيها الألفاظ والمباني مع اتفاق المعاني، أو تقاربها.

١٤-الرأي المعتمد لدى العلماء أن المكي: ما نزل قبل الهجرة وإن كان بغير مكة، والمدني: ما نزل بعد الهجرة وإن كان بغير المدينة.

١٥-لا سبيل إلى معرفة المكي والمدني إلا بما صَحَّ عن الصحابة والتابعين في ذلك.

١٦-تحدث الإمام الصالحي عنه في مواطن عديدة من كتابه سبل الهدى والرشاد؛ حيث أورد جملة من الآيات والسور التي نص على كونها مكية أو مدنية.

١٧-اهتم الإمام الصالحي بأسباب النزول اهتماما كبيرا، واستعان بها على تفسير الآيات وتوضيحها، والاهتمام بأسباب النزول هو الجانب الأبرز في كتاب "سبل الهدى والرشاد".

١٨-يهتم الإمام الصالحي كثيرا ببيان درجة الأحاديث الواردة في سبب نزول الآيات، ويقارن بين الأسباب الواردة حتى يتوصل إلى الجمع بينها أو يبين الراجح منها.

١٩- أحيانا يبين الإمام الصالحي ضعف سبب النزول الوارد في الآية، سواء من جهة السند أو من جهة المتن.

٢٠- يذكر الإمام الصالحي الاختلاف الوارد في سبب نزول الآيات، فيعدد الروايات الواردة في ذلك، وأحيانا يكتفي بإحالة القاري على كتب التفسير.

وبعد، فإني أوصي بضرورة استكمال دراسة ما يتعلق بالدراسات القرآنية في كتاب سبل الهدى والرشاد للإمام الصالحي.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1]، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين.

*****

(١) سورة القصص، من الآية: ٧٠

فهرس المصادر والمراجع

أولا- كتب التفسير وعلوم القرآن:

١. اتقان البرهان في علوم القرآن ، د. فضل حسن عباس، دار النفائس، الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

٢. الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٣. أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله بن العربي المالكي، المحقق: محمد عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٤. أحكام القرآن، لأحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي، المحقق: محمد صادق القمحاوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٠٥ هـ .

٥. أحكام القرآن، لعلي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي، المحقق: موسى محمد علي وعزة عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ هـ.

٦. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٧. أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، المحقق: عصام الحميدان، الناشر: دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٨. أسرار ترتيب القرآن، لجلال الدين السيوطي، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

٩. الانتصار للقرآن، لمحمد بن الطيب بن محمد، أبي بكر الباقلاني، تحقيق: د. محمد القضاة، الناشر: دار الفتح – عَمَّان، دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

١٠. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، المحقق: محمد المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤١٨هـ.
١١. باهر البرهان في معانى مشكلات القرآن، لمحمود بن أبي الحسن النيسابوريّ الغزنوي، المحقق: سعاد بابقي، الناشر: جامعة أم القرى– مكة المكرمة، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
١٢. بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي، بدون بيانات.
١٣. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
١٤. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني، المحقق: أحمد عبد الله القرشي، الناشر: د. حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ
١٥. البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
١٦. بيان المعاني، لعبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني، الناشر: مطبعة الترقي – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٥ م.
١٧. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.
١٨. التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم محمد بن أحمد، ابن جزي الكلبي الغرناطي، المحقق: د. عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم– بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ .

١٩. تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن، لمحمد بن عبد الرحمن الإيجي الشافعيّ، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.
٢٠. التفسير الحديث، لمحمد عزت دروزة، الناشر: دار إحياء الكتب العربية– القاهرة، ١٣٨٣هـ.
٢١. تفسير القرآن العزيز، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الإلبيري، المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
٢٢. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م .
٢٣. تفسير القرآن العظيم، لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم، المحقق: أسعد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩هـ.
٢٤. تفسير القرآن، لأبي المظفر، منصور بن محمد السمعاني، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، الناشر: دار الوطن، الرياض– السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.
٢٥. تفسير القرآن، لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
٢٦. التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة .
٢٧. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، لمحمد بن محمد بن محمود، أبي منصور الماتريدي، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار

الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

٢٨. تفسير الماوردي (النكت والعيون)، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، المحقق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

٢٩. تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.

٣٠. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية، ١٤١٨ هـ .

٣١. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

٣٢. التفسير الواضح،، محمد محمود حجازي، الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة: العاشرة – ١٤١٣ هـ.

٣٣. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م – ١٩٩٨م.

٣٤. تفسير آيات الأحكام، لمحمد علي السايس، المحقق: ناجي سويدان، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٠٠٢ م.

٣٥. تفسير جزء «عمّ» للشيخ محمد عبده، الناشر: الجمعية الخيرية الإسلامية، مطبعة مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٤١هـ.

٣٦. تفسير سفيان الثوري، لأبي عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.
٣٧. تفسير عبد الرزاق، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.
٣٨. تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ.
٣٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.
٤٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد، أبي جعفر الطبري، المحقق: أحمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م.
٤١. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.
٤٢. جمال القراء وكمال الإقراء، لعلي بن محمد بن عبد الصمد الشافعي، أبي الحسن، علم الدين السخاوي، تحقيق: د. مروان العطيَّة – د. محسن خرابة، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.
٤٣. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد

الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.
٤٤. حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، لشهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، دار النشر: دار صادر – بيروت.
٤٥. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، المحقق: الدكتور أحمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.
٤٦. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الفكر – بيروت.
٤٧. دراسات في علوم القرآن الكريم، د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة: الثانية عشرة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م
٤٨. دراسات في علوم القرآن، د. محمد بكر إسماعيل، الناشر: دار المنار، الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م .
٤٩. روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، لزين الدين عبد الرحمن ابن أحمد بن رجب الحنبلي، جمع وترتيب: طارق بن عوض الله بن محمد، الناشر: دار العاصمة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ – ٢٠٠١ م .
٥٠. روح البيان، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، الناشر: دار الفكر – بيروت.
٥١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٥٢. زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي– بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
٥٣. زهرة التفاسير، لمحمد بن أحمد بن مصطفى، المعروف بأبي زهرة، دار النشر: دار الفكر العربي.
٥٤. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، ١٢٨٥ هـ.
٥٥. غرائب التفسير وعجائب التأويل، لمحمود بن حمزة بن نصر، أبي القاسم برهان الدين الكرماني، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت.
٥٦. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، المحقق: زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦هـ.
٥٧. فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان البخاري القِنَّوجي، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.
٥٨. فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاني اليمني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.
٥٩. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، لرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

٦٠. فضائل القرآن، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، الناشر: دار ابن كثير (دمشق – بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ –١٩٩٥ م.
٦١. في ظلال القرآن، لسيد قطب، الناشر: دار الشروق، القاهرة، الطبعة الشرعية السابعة والعشرون، ١٤٠٩، ١٩٩٨م.
٦٢. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.
٦٣. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبي إسحاق، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م.
٦٤. لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، المعروف بالخازن، المحقق: محمد شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤١٥هـ.
٦٥. لباب النقول في أسباب النزول، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ضبطه وصححه: أحمد عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
٦٦. اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الدين عمر بن عادل الحنبلي، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م .
٦٧. مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة والعشرون ٢٠٠٠م.

٦٨. مباحث في علوم القرآن، لمناع بن خليل القطان، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م
٦٩. محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد القاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.
٧٠. محاضرات في علوم القرآن، لغانم بن قدوري بن حمد بن صالح، الناشر: دار عمار – عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م .
٧١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
٧٢. المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، لخالد بن سليمان المزيني، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م.
٧٣. مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، لعبد الجواد خلف محمد عبد الجواد، الناشر: دار البيان العربى – القاهرة.
٧٤. المدخل لدراسة القرآن الكريم، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، الناشر: مكتبه السنة – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م .
٧٥. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي القاسم شهاب الدين عبد الرحمن المقدسي الدمشقي، المعروف بأبي شامة، المحقق : طيار آلتي قولاج، الناشر : دار صادر – بيروت، سنة النشر : ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

٧٦. معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
٧٧. معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل، أبي إسحاق الزجاج، المحقق: عبد الجليل شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
٧٨. معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس أحمد بن محمد، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى – مكة المرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.
٧٩. معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، المحقق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى.
٨٠. معترك الأقران في إعجاز القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
٨١. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة: الثالثة– ١٤٢٠هـ.
٨٢. مقدمة في أصول التفسير، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الحنبلي، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م.
٨٣. مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.
٨٤. النبأ العظيم (نظرات جديدة في القرآن الكريم)، لمحمد بن عبد الله دراز، اعتنى به : أحمد مصطفى فضيلة، قدم له : د. عبد العظيم

إبراهيم المطعني، الناشر : دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة: طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٨٥. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد القيسي القيرواني، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

٨٦. الواضح في علوم القرآن، لمصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م.

٨٧. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي،، تحقيق: عادل عبد الموجود، وآخرون، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م.

ثانيا – كتب الحديث وعلومه:

١. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٢. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلاني، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ.

٣. الاستذكار، لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ – ٢٠٠٠ م.

٤. أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، المحقق: د. محمد بن سعد آل سعود، الناشر: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م.
٥. أنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري، لنبيل بن منصور بن يعقوب، الناشر: مؤسَّسَة السَّماحة، مؤسَّسَة الريَّان، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
٦. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: دار طيبة، بدون تاريخ.
٧. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٨. دفاع عن الحديث النبوي والسيرة في الرد على جهالات الدكتور البوطي في كتابه فقه السيرة، لمحمد ناصر الدين الألباني، منشورات مؤسسة ومكتبة الخافقين، دمشق.
٩. روايات هم النبي ﷺ بالانتحار لا تصح سندا ولا متنا، محمد صالح المنجد، موقع الإسلام سؤال وجواب، رقم 152611
١٠. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لمحمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الألباني، دار النشر: دار المعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

١١. سنن ابن ماجه، لابن ماجة أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.
١٢. سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، وآخرون، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي– مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.
١٣. السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
١٤. السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.
١٥. شرح السنة، لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط–محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
١٦. شرح النووي على مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، لأبي زكريا يحيى ابن شرف النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.
١٧. شرح صحيح البخارى، لابن بطال أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
١٨. شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، لعياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

١٩. شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.
٢٠. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي محمد محمود بن أحمد الحنفى بدر الدين العينى، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢١. غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، المحقق: الدكتور حسين محمد شرف، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
٢٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني، رقمه: محمد عبد الباقي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.
٢٣. فتح المنعم شرح صحيح مسلم، د. موسى شاهين لاشين، الناشر: دار الشروق، الطبعة: الأولى (لدار الشروق)، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.
٢٤. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد ابن إبراهيم بن عثمان العبسي، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.
٢٥. كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري، لمحمَّد الخَضِر بن سيد الشنقيطي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
٢٦. الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم، جمع وتأليف: محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي، المستشار برابطة العالم الإسلامي – مكة

المكرمة، الناشر: دار المنهاج – دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.
٢٧. المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب ابن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م.
٢٨. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.
٢٩. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله الطهماني النيسابوري، المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠م.
٣٠. مسند أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.
٣١. مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، لعبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠ م.
٣٢. مسند الشاميين، لسليمان بن أحمد بن أيوب الشامي، أبي القاسم الطبراني، المحقق: حمدي بن عبدالمجيد، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٤م.
٣٣. المسند الصحيح المختصر، لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٤. المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الحميري الصنعاني، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي– الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.
٣٥. معجم ابن الأعرابي، لأبي سعيد بن الأعرابي أحمد بن محمد البصري، تحقيق وتخريج: عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
٣٦. المعجم الأوسط، لسليمان بن أحمد الشامي، أبي القاسم الطبراني، المحقق: طارق ابن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة.
٣٧. المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد الشامي، أبي القاسم الطبراني، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.
٣٨. الموقظة في علم مصطلح الحديث، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غُدّة، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ

ثالثا- كتب أصول الفقه:

١. الإبهاج في شرح المنهاج ((منهاج الوصول إلي علم الأصول للقاضي البيضاوي))، لتقي الدين أبي الحسن علي بن عبد الكافي السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت، عام النشر: ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.
٢. الأشباه والنظائر، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١١هـ– ١٩٩١م.
٣. البحر المحيط في أصول الفقه، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، الناشر: دار الكتبي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٤. روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، الشهير بابن قدامة المقدسي، الناشر: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٥. القواعد والفوائد الأصولية وما يتبعها من الأحكام الفرعية، لابن اللحام، علاء الدين أبي الحسن علي بن محمد الدمشقي الحنبلي، المحقق: عبد الكريم الفضيلي، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٦. كتاب التلخيص في أصول الفقه، لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، أبي المعالي، (إمام الحرمين)، المحقق: عبد الله النبالي وبشير العمري، دار البشائر الإسلامية - بيروت.
٧. المحصول، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي، تحقيق: د. طه العلواني، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٨. نهاية السول شرح منهاج الوصول، لعبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

رابعا- كتب الفتاوى:

١. الحاوي للفتاوي، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
٢. مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

خامسا- كتب التاريخ والسير والتراجم:

١. إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، لأحمد بن علي ابن عبد القادر، أبي العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٢. البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٣. تقريب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

٤. تهذيب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

٥. جمل من أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيى بن جابر البَلَاذُري، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، الناشر: دار الفكر– بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٦. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الناشر: السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م

٧. الخصائص الكبرى، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٨. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأحمد بن الحسين بن علي الخُسْرَوْجِردي، أبي بكر البيهقي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٠٥ هـ.

٩. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، المحقق: عمر عبد السلام السلامي،

الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١٠. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

١١. سلم الوصول إلى طبقات الفحول، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة»، المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، تدقيق: صالح سعداوي صالح، الناشر: مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا، عام النشر: ٢٠١٠ م.

١٢. سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي، المدني، تحقيق: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م.

١٣. السيرة النبوية لابن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٣٩٥هـ – ١٩٧٦م.

١٤. السيرة النبوية لابن هشام، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م.

١٥. شرح علل الترمذي، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي ، المحقق: د. همام سعيد، الناشر: مكتبة المنار – الزرقاء – الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

١٦. الشفا بتعريف حقوق المصطفى – مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الحاشية: أحمد ابن محمد بن محمد الشمنى، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، عام النشر: ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.
١٧. طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، المحقق: د. محمود الطناحي د. عبد الفتاح الحلو، الناشر: هجر للطباعة ، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.
١٨. طبقات الفقهاء الشافعية، لعثمان بن عبد الرحمن، المعروف بابن الصلاح، المحقق: محيي الدين نجيب، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٢م.
١٩. الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد البغدادي، المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.
٢٠. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله كاتب جلبي، المشهور باسم حاجي خليفة، الناشر: مكتبة المثنى – بغداد، تاريخ النشر: ١٩٤١م.
٢١. لب اللباب في تحرير الأنساب، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الناشر: دار صادر – بيروت.
٢٢. محمد رسول الله ﷺ منهج ورسالة – بحث وتحقيق ، محمد الصادق عرجون، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
٢٣. معجم المؤلفين، لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة، الناشر: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٤. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل بن محمد أمين البغدادي، الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول، ١٩٥١م.

سادسا- المعاجم والغريب:

١. التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني، المحقق: عبد العليم الطحاوي، وآخرون، الناشر: مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠ م – ١٩٧٩م.

٢. تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٣. المحكم والمحيط الأعظم، لعلي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٤. معجم البلدان، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.

٥. النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوى – محمود الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

*****

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة:.....	٤٠٩
المبحث الأول: كيفية إنزال القرآن الكريم.....	٤١٢
المبحث الثاني: أول ما نزل من القرآن الكريم، وآخر ما نزل منه..	٤٥٥
المطلب الأول: أول ما نزل من القرآن الكريم.....	٤٥٥
المطلب الثاني: آخر ما نزل من القرآن الكريم.....	٤٦٢
المبحث الثالث: نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف.....	٤٧٠
المبحث الرابع: المكي والمدني (مكان نزول القرآن الكريم وزمانه)..	٤٧٤
المبحث الخامس: أسباب نزول القرآن الكريم.....	٤٩٤
الخاتمة.....	٥٠٨
فهرس المصادر والمراجع.....	٥١١
فهرس الموضوعات.....	٥٣٢